

وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة

الطبعة الاولى سنة ١٩٩٠ - بغداد

طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة « آفاق عربية »
رئيس مجلس الإدارة :
الدكتور محسن جاسم الموسوي
حقوق الطبع محفوظة
تعلنون جميع المراسلات
بأسم السيد رئيس مجلس الإدارة
العنوان :
العراق - بغداد - اعظمية
ص.ب. ٤٠٣٢ - تلکس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

هيئة كتابة التاريخ

العرب

مكتبة

الاسكندرية

١٧٩٢٦٥١

١٦٩١٨

رقم التسجيل : ١٦٩١٨

الخليفة المقتفي لأمر الله

٥٣٠-٥٥٥٥ هـ / ١١٣٥ - ١١٦٠ م

تأليف الدكتور

محمد جاسم حمادي المشهداني

الطبعة الاولى سنة ١٩٩٠ - بغداد

الأهدام

- الى كل عربي غيور على تربة وطنه وامته .
 - الى كل عربي شريف دافع عن تربة وطنه وامته .
 - الى الرجل الذي دافع عن شرف العراق وتاريخه وحضارته .
 - الى الخليفة المقتفي لامر الله .
- اهدي جهدي هذا عرفانا بعوده في التاريخ ، واعترافا
بشهامته وغيخته على هذا الوطن والامة .**

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

ان اختيار موضوع للبحث في كتابة التاريخ يعد من الامور المهمة التي تعكس جانبا من جوانب أهمية ذلك الموضوع وجدوى البحث فيه من ناحية قيمة الموضوع واصالته ، ومدى الاثر الايجابي لتلك الاصالاة والقيمة على قارئ التاريخ ، فرغم بعد الحوادث التاريخية عن زمان ومكان المؤرخ المعاصر ، الا ان لآثارها النفسية والفكرية دورا فاعلا ومؤثرا في بناء وتكوين شخصية القارئ ، اذا ما ادركنا اهمية ومكانة التاريخ في التوعية الوطنية والقومية ، وان الدراسات التاريخية اليوم اضحت في قطونا هادفة وليست عشوائية الاختيار ، او كلاسيكية المنهج ، بل هي دراسات منسجمة ومتوافقة مع ذات المبادئ والقيم التي صنع في ظلالها التاريخ المشرق للامة عبر الزمن . وانطلاقا من هذا المبدأ ، وانسجاما مع القيمة التاريخية للحوادث التاريخية الفاعلة والمشرقة في تاريخ الامة العربية وتوافقا مع الدعوة المخلصة

لإعادة كتابة تاريخ الأمة العربية ، فقد وقع اختياري على موضوع «ال خليفة المقتفي لأمر الله» وذلك لأهمية هذا الموضوع ، الذي يتميز بكونه موضوعاً هادفاً يعكس حالة إيجابية مشرقة في تاريخ العرب ، لكونه يبين دور الخليفة المقتفي والعراقيين في عملية تحرير العراق من الغزو السلجوقي ، وطرد السلاجقة منه ، وإعادة الهيبة إلى الخلافة في فترة نضالية مشرقة من تاريخها .

ولقد اقتضت ضرورة البحث تقسيمه إلى عدة فصول حيث تناولنا في الفصل الأول ، دراسة الأوضاع العامة للخلافة العباسية قبل عهد الخليفة المقتفي لأمر الله بما في ذلك الوضع الاجتماعي والاقتصادي مع دراسة بؤادر الانتعاش السياسي ، الذي شهدته الخلافة قبل عهد المقتفي .

ثم بينت في الفصل الثاني دراسة موضوع خلافة المقتفي لأمر الله بعد عزل الراشد بالله ثم بيان السيرة الشخصية للخليفة المقتفي لأمر الله وموقف المؤرخين من المقتفي عندما أشادوا بذكره وبوقفه التاريخية الشجاعة التي أعادت للخلافة العباسية هيبتها وقوتها .

أما الفصل الثالث فقد أوضح فيه صعوبة موقف الخليفة المقتفي لأمر الله في بداية توليته الخلافة ، وكيف وضع السلاجقة أمامه العراقيل

والتعقيدات ما يفوق التصور ولكنه مع كل ذلك استطاع بحنكته وحكمته وشجاعته ان يتجاوز تلك المعوقات ، فضلا عن انه اثبت جدارة وكفاءة كبيرة في تحقيق ما خطط له في مجابهة السلاجقة وتأكيد قوة الخلافة وهيبتها . اما الفصل الرابع ، فكان دراسة لوزراء المقتفي لامر الله حيث اعاد الخليفة الى مؤسسة الوزارة حيويتها ومكانتها السابقة ، بل اعاد الى الوزراء هيبتهم ونفوذهم وكان من ابرز وزرائه ابن هبيرة الدوري الشيباني الذي دعم موقف الخليفة وكان ساعده الايمن في تحقيق قوة الخلافة العباسية . وعالجت في الفصل الخامس ، الازمات الداخلية ودور الخليفة المقتفي في القضاء عليها ، بحيث كانت تلك الازمات متعددة ومتنوعة كالمشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها حيث انه تمكن من معالجتها وتجاوزها . وخصصت الفصل السادس لموضوع الزيارات التفقدية التي قام بها الخليفة المقتفي لامر الله لمدن العراق ، حيث كان دائم التنقل من مدينة لأخرى يتفقد امورها ، واحوال الرعية فيها فنجده يتردد عدة مرات الى الدجيل للاطلاع بنفسه على مراحل حفر قناة الدجيل لأثرها في الحياة الاقتصادية حينذاك وكان لجولاته وزياراته التفقدية أثر جيد وواضح في التعرف على الاوضاع عن كثب ومعالجتها بجدارة .

كما تطرق الفصل الى مدى عناية الخليفة المقتفي بالحركة الفكرية وتشجيعه للعلماء والمفكرين *

ويعد الفصل السابع اهم فصول الكتاب ، حيث تناولنا فيه تصدي الخليفة المقتفي للسلاجقة ، وانتصاره عليهم ، وتتبعنا من خلال الفصل البدايات الاولى للمواجهة والمراحل التي مرت بها حتى طرد السلاجقة عن بغداد والعراق ، ثم الاشارة الى ابرز معارك الخلافة ضدهم ، وبالاخص معركة بكمزا سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م ومعركة بغداد التاريخية سنة ٥٥١ / ٥٥٢هـ ، ١١٥٦ - ١١٥٧م فضلا عن تحرير عدة مدن عراقية كتكريت وبعقوبة وواسط والحلة وغيرها ، ويعكس الفصل البطولات العراقية الرائعة التي سطرها ابناء العراق وبخاصة بغداد صغارا وكبارا والتي اصبحت شواهد خالدة في سفر التاريخ وأخيرا ارجو ان اكون قد وفقت في كتابة هذا البحث ليسهم في رفد المكتبة العربية ، وليعرف القارئ بالرموز الشاخصة في سفر تاريخنا الخالد *

ومن الله تعالى نستمد العون والتوفيق *

الدكتور محمد جاسم حمادي المشهاني

بغداد المحروسة

في ١٠ ذي الحجة / ١٤٠٩هـ

١٣-٧-١٩٨٩

الفصل الاول

الوضع العام للخلافة قبل عهد الخليفة المقتفي

المبحث الاول : الوضع الاجتماعي والاقتصادي •

المبحث الثاني : بوادر الانتعاش السياسي •

تعرض العراق الى مشاكل داخلية متنوعة ومتعددة ، ومخاطر خارجية ، كان من ابرزها الغزو البويهي لمدينة بغداد سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥م وما رافقه من تدهور خطير في الوضع الحضاري والاقتصادي والاجتماعي في العراق عموما ، وفي الوقت الذي ضعفت فيه الدولة البويهية في المشرق رافقه تنامي قوة جديدة ، هي قوة قبائل الغز السلجوقية والذين اندفعوا سنة ٣٤٥هـ / ٩٥٦م من سهول تركستان ، واخذوا يتطعمون لغزو العراق ، وتم لهم ذلك في ٢٥ رمضان سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م ، حيث دخلوا العراق غزاة عن طريق حلوان ، ولقد عاش العراق وضعا صعبا وقاسيا تحت نير الغزو السلجوقي ، ولالقاء ضوم على طبيعة الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العراق في تلك الفترة ، سنتطرق الى ذكر تلك الجوانب .

المبحث الاول - الوضع الاقتصادي والاجتماعي :

كان الغزو السلجوقي للعراق في سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م بداية مظلمة وقاتمة في تاريخ العراق ،

حيث نتجت عنه مشاكل عديدة داخلية متنوعة
واخطارا خارجية رافقتها تدهور كبير في الاوضاع
الاقتصادية والاجتماعية فضلا عن تدهور الوضع
السياسي بصورة خطيرة ، وقد وصف المؤر
البنداري حالة اندفاع الغزو الساجوقي باتج
العراق بقوله :

« فعزم على الحركة واندفع كالسيل . . . ولـ
يترك الترك وردا الا شفوه ، ولا حسنا الا شوهوه
ولا نارا الا أرثوها ، ولا دارا الا شعثوها ، و
عصمة الرفعوها ولا وصمة الا وضعوها . . . فمـ
جاءوا الى بلدة الا ملكوا مالکها ، وملأوا مسالكها
وارعبوا ساكينها ، واسكنوها الرعب ، وغلبـ
ولاتها ، وولوها الغلب ، وازروا الى الزوراء
واشاعوا مد اليد بالفارة الشعواء» (١) .

ثم سيطر السلاجقة على مرافق الحياة كافة
وكانوا يتدخلون في كل صغيرة وكبيرة في امو
الخلفاء والوزراء ، وصار الخلفاء يتسلمون رواتب
وأرزاقهم من السلاجقة ووضعوا الجيش تحت تصرف
واشراف نائبيهم المدعو «العميد» ووضعوا الاشراف
الامن والنظام تحت اشراف «الشحنة» ، حيث فوض
لهؤلاء النواب أمر ضبط الامن في العراق ، وأرسـ

(١) البنداري ، محمد بن محمد بن حامد ، تاريخ دولة آل سلجوق
(بيروت ، ١٩٧٨) ١٠-١١ .

الاموال الى خزانة الحاكم السلجوقي الذي أخذ يشرف على ما يدخل الى بيت المال من الايرادات ، مما ادى الى فقدان الخلافة العباسية لهيبتها (٢) ، ويمكن تصور وضع الخليفة المزري من خلال رسالة ملكشاه السلجوقي الى الخليفة المقتدي بأمر الله حيث جاء فيها : « لا بد ان تترك لي بغداد وتنصرف الى اي البلاد شئت . . . » والتجأ الخليفة الى وزير السلطان ، وطلب منه أن يسأل سلطانه بتأجيل موعد خروجه من بغداد عشرة أيام ليتسنى له الاستعداد للانتقال» (٣) .

ونتيجة للسياسة السيئة والقاسية التي اتبعها السلاجقة في العراق والتي تمثلت في نهب خيرات البلاد ، وفي خلق وتغذية الانقسامات الاجتماعية ، وزرع بذور الفتن الطائفية ، فقد مر العراق بوضع صعب وخطير في تلك المرحلة من تاريخه ، حيث كثرت المنازعات والانقسامات والفتن في العراق بصورة عامة وبغداد بصفة خاصة ، وشهدت الفترة من ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م ، وحتى سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م ما يقارب من ست عشرة حادثة نزاع طائفي

(٢) حسين امين ، تاريخ العراق في العهد السلجوقي (بغداد ،

١٩٦٥) ٤٠ - ٧٨ ، د . رشيد الجميلي ، امانة الموصل في

العصر السلجوقي (بغداد ، ١٩٨٠) ٤٨ ، ٥٤ .

(٣) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ٦٥ ، ابن الجوزي ،

المنتظم ، ج ٨ (الهند ، ١٣٥٨) .

وبالالاخص في بغداد (٤) ، وما رافق ذلك من عمليات قتل ونهب وسلب وحرائق كثيرة ، وما نتج عن ذلك من تدهور الاوضاع الاقتصادية الى حد لا يطاق ، وقد سجلت لنا كتب التاريخ عشرة حوادث لفلاء الاسعار ، والقحط ما بين سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م وسنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م (٥) . ورافق ذلك انتشار الوبئة والامراض في انحاء العراق (٦) .

وبسبب فقدان الامن والنظام ، وبسبب سيطرة الغزاة السلاجقة على مقدرات الحياة في العراق ، فان ذلك ادى الى اهمال المشاريع الزراعية والري ، حيث تعرض العراق الى حوادث فياضانات مدمرة وبالاخص مدينة بغداد (٧) .

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٦٣/٨ ، ٧٢ ، ٢٨٣ ، ٢٣٩-٢٤٠ ؛ ٢٧٧ ، ٣٠٥ ، ٢٦/٩ ، ٣٨ ، ٧٧ .

(٥) نفسه ، ١٧٩/٨ ، ٢٧٣ ، ١٤٦/٩ ، ١٣٤/١٠ ، ابن الاثير الكامل ، ٢٤٩/١٠ (بيروت ، ١٩٦٥) حوادث سنوات ، ٤٤٨ هـ ، ٤٩٣ هـ ، ٥٠٢ ، ٥١٧ هـ ، ٥١٨ هـ ، ابن كثير ، البداية والنهاية (بيروت ١٩٦٦) ، ١٦٥ .

(٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٧٠/٨ ، ٢٣٢ ، ١٤/٩ ، ٢٧ ، ١١٣ ، ٢٤٩ ، ١٣٨/١٠ . ابن الاثير ، الكامل ، حوادث سنة ٥٤٥ هـ ، ٥٧٤ هـ .

(٧) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ٢٢٥/٨ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٣٠٥ ، ١٨٩/١٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٧٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، حوادث سنة ٤٧٢ هـ ، ٥٠٢ هـ ، ٥٥٤ هـ ، ٥٥٧ هـ ، ٥٦٩ هـ .

ومما زاد في تعقيد الوضع الاقتصادي في العراق ، تعرضه الى مواسم الجفاف وعدم سقوط الامطار في السنوات ٤٩٣ ، ٥١٢ ، ٥١٨ ، ٥٤٣ هـ (٨) .

ولعل اوضح صورة اوردها المؤرخ البنداري عن وضع العراق وبغداد تحت نير السيطرة السلجوقية من خلال وصفه الآتي عندما قال : « . . . وكانت السدة الشريفة قد منيت بجور الاعاجم . . . ولم تزل بغداد مظلمة مشحونة منهم بالشحن المظلمة . . . والدماء والفروج مستباحة مهدرة ، والخليفة يُقدر عليه ولا يقدر ويُقدر به » (٩) .

المبحث الثاني - بوادر الانتعاش السياسي :

عاشت الخلافة العباسية وضعا صعبا عندما ابتليت بجور المتغلبين عليها من البويهيين الفرس ، ومن قبل السلاجقة ، واخذ اليأس مأخذه في نفوس الناس عامة والخلفاء بخاصة ، لكن الارادة القوية لبعض الخلفاء العباسيين مكنت من ايجاد نهاية تامة لنفوذ المتغلبين السلاجقة وطردهم من بغداد ، وتحرير العراق منهم ، وذلك بفضل الجهود العظيمة التي

(٨) نفسه ، ١١٣/٩ ، ابن الاثير ، المصدر السابق ، حوادث سنة ٥١٢ هـ ، ٥١٨ هـ ، ٥٤٣ هـ .

(٩) دولة آل سلجوق ، ٢١٤ .

بذلها الخليفة المقتضي لامر الله (١٠) ، الذي استطاع
ان يعيد للخلافة هيبتها وقوتها .

وكانت بوادر الانتعاش السياسي قد ظهرت في
عهد الخلفاء الذين سبقوا المقتضي رغم أن ذلك
الانتعاش كان محدوداً ، حيث لم يجرؤ الخلفاء الذين
سبقوه على مجابهة السلاجقة بصورة علنية الا بقدر
محدود ، مما شجع الخلفاء الذين جاءوا فيما بعد
على مواجعتهم مباشرة . ولذلك فلم يكن عهد المقتضي
بامر الله (١١) ، الا استمرارا للعهود السابقة والتي
تميزت بسيطرة السلاجقة المتغلبين على مقدرات
الخلافة ، وفرض نفوذهم وسطوتهم على امورها
وامور الخلفاء ، واختتم عهد المقتضي باخراجه من

(١٠) المقتضي لامر الله : هو ابو عبدالله محمد بن المستظهر بالله
بويح له بالخلافة في يوم الثلاثاء السابع عشر من ذي
الحجة سنة ٥٣٠هـ (ابن العمراني ، الانباء في تاريخ
الخلفاء ، تحقيق د . قاسم السامرائي (لايدن ، ١٩٧٣) ،
٢٢٥) .

(١١) المقتضي بأمر الله : هو ابو القاسم ، عبدالله بن ذخيرة
الدين بن العباس محمد بن القائم بأمر الله ، توفي في
المحرم سنة ٤٨٧هـ ، وهو ابن تسع وثلاثين سنة ، وكانت
خلافته تسع عشرة سنة وشهورا (المصدر السابق ،
٢٠١ ، ٢٠٥) .

بغداد الى اصفهان (١٢) ، بامر ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي عندما طلب منه مغادرة بغداد حالا بعد دخوله اليها ، فتوفي في اصفهان سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م (١٣) . اما الخليفة المستظهر بالله (١٤) ، فانه كان « لين الجانب محبا للخير » (١٥) ، وقد اتخذ قرارا جريئا في عزله للوزير عميد الدولة بن جهير وتخلص منه (١٦) . ويعد عمله هذا سابقة جديدة في عهد تسلط المتغلبين على الخلافة ، ويعتبر نقطة تحول في طبيعة علاقة الخلافة بهم ، اما خاييفته المسترشد بالله ٥١٢-٥٢٩ (١٧) ، فيعد من رجال بني

(١٢) اصفهان : مدينة كبيرة ، وهي اسم للاقليم ، وكانت مدينتها اولاجي ، ثم صارت للمودية ، وهي من نواحي الجبل) ابن عبدالحق البغدادي ، مرصد الاطلاع ، ج١ (بيروت ، ١٩٥٤) ص ٨٧ .

(١٣) ابن العمراني ، المصدر السابق ، ٢٠٥ .

(١٤) هو ابو العباس احمد بن المقتدي بامر الله ، بويغ له في ٤ محرم سنة ٤٨٧هـ ، في اليوم الثالث من وفاة ابيه ، وكان مولده بدار الخلافة سنة ٤٧٠هـ ، وامه تركية ، وتوفي في ربيع الاول سنة ٥١٢هـ بعلة الاستسقاء (ابن العمراني ، المصدر نفسه ، ٢٠٦ ، ٢٠٨) .

(١٥) الذهبي ، دول الاسلام ج٢ (حيدرآباد ، ١٣٣٧هـ) ٥١ .

(١٦) ابن العمراني ، المصدر السابق ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(١٧) وهو ابو المنصور الفضل بن المستظهر بالله ، ولد في يوم الاثنين سابع شعبان سنة ست وثمانين واربع مائة في حياة المقتدي جده ، وبويغ له بالخلافة بعد موت المستظهر



العباس الاشداء في هذه الحقبة الحرجة من عمر الخلافة ، فقد كان «فحل بني العباس ونجيبيهم وفاضلهم وكاتبهم واشجعهم» (١٨) . وافتتح الخليفة عهده بمجابهة السلاجقة وغيرهم من المتغلبين والطامعين ، فقد جابه التمرد الذي قاده ضده أخوه ابو الحسن في المدائن حيث تمكن ابو مضر العلوي النقيب من مهاجمة مدينة الحلة وتمت مبايعة ابو الحسن خليفة ، ولقب نفسه « المستنجد بالله » غير أن قوات الخلافة تمكنت من القضاء على المتمردين وأسر ابو الحسن الذي نقل الى بغداد (١٩) ، ثم جابه المسترشد بالله التمرد الذي قاده « ديبس بن صدقة » صاحب الحلة عندما استغل وضع الخلافة ، فطالب الخليفة بالاموال ونهب السواد ، واحرق الغلات ، وهدد الخليفة قائلاً « والله لأنقضن الدار حجرا

بالله بثلاثة ايام في صبيحة يوم الخميس السادس من ربيع الاول سنة اثنى عشرة وخمسمائة ، قتله جماعة من الغلاة في يوم الخميس تاسع عشر من ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة وذلك في مدينة مراغة ، ووصل الخبر الى بغداد في عشية يوم الجمعة السابع والعشرين من ذي القعدة من السنة ذاتها (ابن العمراني ، المصدر السابق ، ٢١٠ - ٢٢١) .

(١٨) ابن العمراني ، نفسه ، ٢١٠ .

(١٩) نفسه ، ٢٠٩ ، ٢١١ - ٢١٢ .

الذهبي ، المصدر السابق ، ٣٩/٢ - ٤٠ .

حجرا ، وما انا بدون البساسيري » (٢٠) * فجهز الخليفة جيشا كبيرا قوامه اثنا عشر الف فارس وهاجم فيه مدينة الحلة ، وحررها من المتمردين واعاد اليها الامن والاستقرار بعد هرب ديبس بن صدقة عنها (٢١) .

وفي عام ٥٢٦هـ / ١١٣١م اتفق ديبس بن صدقة مع زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل على مهاجمة بغداد في اثني عشر الف فارس ، فاستعد الخليفة لاحتمالات الموقف ومجابهة الغزاة « ولم يبق في البلد صغير ولا كبير الا خرج » (٢٢) ، ودارت رحى معركة عنيفة في

(٢٠) البساسيري : هو ارسلان بن عبدالله (ت ، ٤٥١هـ) ، وهو قائد تركي الاصل ، كان من مماليك بني بويه ، وعلن تمرده على الخلافة في عهد الخليفة القائم بأمر الله ، وانضم الى البساسيري كل من نورالدولة ابو الاغر ديبس بن علي بن مزيد الاسدي ، وقريش بن بدران صاحب الموصل وديار ربيعة ، واتفقوا على ازالة دولة بني العباس ، وخرج الخليفة من بغداد ، وعلن الخطبة للمستنصر بالله الفاطمي ، الا ان محاولته فشلت فيما بعد .

(٢١) ابن العمrani ، المصدر السابق ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، الذهبي ، المصدر السابق ، ٤٣/٢ ، ٤٤ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ج ٤ (بيروت ، لات) ٥٣ .

(٢٢) ابن العمrani ، المصدر السابق ، ٢١٧ .

منطقة عقرقوف (٢٣) ، وحقت قوات الخلافة بقيادة
المسترشد بالله انتصاراً حاسماً على المتمردين (٢٤) .

وبعد هذه الانتصارات فكر الخليفة المسترشد في
مواجهة المتغلبين السلاجقة ، ولذلك ابتداء صراعه مع
مسعود السلجوقي فاتجه الى مواجهته في عقر داره ،
غير انه هوجم في منطقة مراغة (٢٥) ، من قبل جماعة
من غلاة الاسماعيلية بعد أن لجأوا الى استغلال الوضع
بطريق المكر والخداع ، ولكنه قاتلهم بشجاعة وهو
ينادي : « شهيد والحمد لله » ، وبذلك يكون المسترشد
بالله من أوائل خلفاء بني العباس الذين جابهوا
السلاجقة مجابهة شجاعة وعلمية ففتح بذلك الباب
امام الذين جاءوا من بعده من الخلفاء لتحرير العراق
من الغزو السلجوقي ، ثم تولى الخلافة الراشدة
بالله (٢٧) ، ويبدو ان مسعود السلجوقي لم يكن راغباً

(٢٣) عقرقوف : وهي قرية من نواحي نهر عيسى ، بينها وبين
بغداد اربعة فراسخ ، وفيها اثار عظيمة من تاريخ العراق
القديم (البغدادي ، مرصد الاطلاع ، ٢ / ٩٥٠) .

(٢٤) ابن العمراني ، المصدر نفسه ، ٢١٧ .

(٢٥) مراغة : بلدة مشهورة بأذربيجان ، كانت قصبتها ، وبها
آثار ومدارس (انظر : البغدادي ، مرصد الاطلاع ،
٣ / ١٢٥٠) .

(٢٦) ابن العمراني ، المصدر السابق ، ٢٢١ .

(٢٧) الراشد بالله : هو ابو جعفر المنصور بن المسترشد بالله ،
بويح له بالخلافة في يوم الاثنين مستهل ذي الحجة سنة



في خلافة الراشد بالله الذي سيواصل سياسة والده
الجهادية ضد السلاجقة ، والسعي لتحرير العراق
منهم ويتمثل هذا في قول مسعود السلجوقي « لا اريد
أن يجلس في الخلافة الا من لا يداخل نفسه في غير
أمور الدين ولا يجند ، ولا يجمع ، ولا يخرج عليّ
ولا على اهل بيتي » (٢٨) غير ان الخليفة الراشد كان
عكس ما اراده السلاجقة حيث تمكن من تجهيز حملة
كبيرة من بغداد قوامها ثلاثين الف فارس لمهاجمة
مسعود السلجوقي وللاخذ بثأر ابيه غير ان مسعود
السلجوقي بادره بالهجوم المباغت على بغداد قبل
ان يخرج الخليفة لمحاربته وحاصرها قرابة خمسين
يوما ، مما اضطر الراشد بالله الى التوجه من بغداد
الى الموصل بنصيحة عماد الدين زنكي ، فدخل الفزاة
السلاجقة محتلين لها منتصف شهر ذي القعدة سنة
٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م ، ثم تخلى عماد الدين عن الراشد

تسع وعشرين وخمسمائة ، وقتله الملاحدة في شهر
رمضان سنة احدى وثلاثين وخمسمائة ، وذلك على باب
اصفهان ، ودفن في جامع شهرستان ، وكانت سنة ثلاثين
سنة ، وكانت خلافته سنة وثمانية اشهر (ابن العمري
نفسه ، ٢٢٢ - ٢٢٤) .

(٢٨) الفارقي ، نبذة من تاريخه (هامش ص ٢٥١ ، من ذيل
تاريخ دمشق لابن القلانسي) .

الذي خرج عن الموصل الى ان قتل شهيدا من قبل
الملاحدة على باب اصفهان (٢٩) *

وتم بعد ذلك اختيار المقتفي لامر الله خليفة
لبنو العباس والذي يعد عهده عهد الحسم الحقيقي
للفزو السلجوقي على العراق ، وذلك كما سرى
فيما بعد مستثمراً ومستفيداً من البدايات الاولى
التي جرت في عهد من سبقه من الخلفاء في مجابهتهم
للسلاجقة وكان له دوراً فاعلاً ومميزاً ، مع وزيره
ابن هبيرة الدوري في تحقيق الانتصار الحاسم على
السلاجقة وتحرير العراق من سيطرتهم *

(٢٩) الحسيني ، الدولة السلجوقية ، ١٠٨ ، ابن الجوزي ،
المنتظم ، ٥٩/١٠ - ٦٠ ، ابن العمراني ، المصدر السابق ،
٢٢٢ ، ٢٢٤ *

الفصل الثاني

خلافة المقتفي لامر الله

- المبحث الاول : عزل الراشد بالله وخلافة المقتفي لامر الله
- المبحث الثاني : السيرة الشخصية للخليفة المقتفي لامر الله
- المبحث الثالث : موقف المؤرخين من الخليفة المقتفي لامر الله

يعد عهد الخليفة المقتضي (١) ، عهدا جديدا في تاريخ العراق بخاصة ، والخلافة العباسية عامة ، وبالاخص في عهد ضعف الخلافة وسيطرة المتغلبين عليها ، لما قام به من دور فاعل ومتميز في القضاء على تلك القوى الاجنبية وتحرير العراق منهم . فبعد فترة عصيبة مرت على العراق تحت نير السيطرة السلجوقية كان فيها السلاجقة هم الذين يعزلون وينصبون الخلفاء ، وفقا لما تقتضيه مصالحهم واهدافهم ، وبعد موقفهم المعادي للخليفة الراشد بالله . والذي كانوا قد اختاروه معتقدين بأنهم سيضعوا مكانه خليفة ينفذ سياستهم ويحقق رغباتهم وسيكون تحت تصرفهم ، ولكن توقعهم كان غير دقيق ، ولا يتفق مع واقع الظروف الجديدة ، ذلك لان المقتضي اراد ان ان يكون خليفة صاحب سلطان حقيقي ، حينما قرر تزعم نضال الخلافة ضد القوى الاجنبية المتغلبة عليها . وكان ساعده الايمن في ذلك وزيره القدير ابو المظفر يحيى بن هبيرة الدورى الشيباني (٢) .

(١) المقتضي لامر الله : ابو عبدالله محمد بن المستظهر بالله ، احمد بن المقتدى بالله عبدالله بن الامير محمد بن القائم العباسي . (الحنيلي ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ج ٤ (بيروت ، لات) ١٧٢ . الذهبي ، دول الاسلام ، ج ٢ (القاهرة ، ١٩٧٤) ٧١ .

(٢) هو الحارث بن شريك بن عمرو بن قيس بن شرحبيل بن مرة بن همام بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكاشة بن



لقد كان مصير الخليفة الراشد بالله (٣) محزنًا بسبب الموقف المعادي للسيء الذي اتخذته ضده مسعود السلجوقي، فقد روى ابن الأثير أن مسعود السلجوقي بلغه بأن الخليفة والامراء في بغداد اجتمعوا على خلافه والخطية لداود ابن أخيه محمود (٤) ، فجهز جيشًا وسار به إلى بغداد فحارب حولها الحصار حيث كان مع الراشد بالله عدد من الامراء السلاجقة ، وجيوشهم ، وهم مجتمعون على خلافه ، واضطربت الامور فيها في الوقت الذي استغل فيه العيارون

صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن اقصى من دعي بن حديلة بن اسد من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان الشيباني الملقب عون الدين (ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٦/٢٣٠) . ولقد اخطأ بن دحية الكلبي في كتابه التبراس في تاريخ خلفاء بني العباس حينما جعل ابا المظفر من ذرية عمر بن هبيرة الفزاري امير العراقيين في عهد الامويين ، فان الوزير شيباني النسب وذاك فزاري النسب ، (ابن خلكان ، ج ٦/٢٣٠ وما بعدها) ، اما تلقبته بالدوري فلانه ولد في قرية الدور من اعمال دجيل وينسب (القزويني ، اثار البلاد ، ٣٦٧) .

(٣) الراشد بالله : ابو جعفر منصور بن المسترشد بالله احمد ابن المقتدي بالله الهاشمي العباسي (الحنبلي المصدر السابق ، ٤/١٠٠) .

(٤) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ١١ (بيروت ، ١٩٦٦) ٤١-٤٠ .

والشطار (٥) تدهور الموقف السياسي فأكثرُوا من الفساد والفوضى فيها ، وفي الوقت نفسه قام جد انطاري صاحب واسط بقيادة سفن كثيرة في نهر دجلة لمهاجمة الخليفة الراشد بالله من بغداد (٦) ، في حين حدثت خلافات حادة بين المجتمعين في دار الخلافة كان من نتيجتها خروج الخليفة الراشد بالله من بغداد ، وبرفقة عماد الدين زنكي (٧) ، متجهين نحو مدينة الموصل ، ويبدو ان الخليفة لجأ الى زنكي آملاً في اسناد ودعم موقفه ضد السلاجقة في بغداد ، حيث كان زنكي على خلاف مع مسعود السلجوقي قال اسطيفانوس الدويهي : « خرج زنكي وهو ناظم على السلطان السلجوقي » (٨) ، وكان ذلك في عام ٥٣٨ هـ ، وبعد خروج الخليفة الراشد مع زنكي تمكن مسعود السلجوقي من احتلال بغداد ودخول قصر الخلافة ، ولقد استغل مسعود السلجوقي الوضع فاحضر العلماء

(٥) العيارون والشطار : فئة من الناس اعتادوا حياة النهب والسلب والتمرد على واقع المجتمع وحركاتهم اجتماعية سياسية .

(٦) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ٤١/١١ .

(٧) عماد الدين زنكي : هو ابو الجود عماد الدين زنكي الملقب بالملك المنصور صاحب الموصل وكان من الامراء المتقدمين وتوفي سنة ٥٤١ هـ ، ودفن بصفين (ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٣٢٧/٢م - ٣٢٩) .

(٨) اسطيفانوس الدويهي ، تاريخ الازمنة ، بيروت ، ١٩٥١) ٤٨

والاعيان وطلب اليهم خلع الراشد بالله ، حيث زور كتابا بخط الراشد بالله افتراءً عليه وجاء فيه :

« اني متي جندت او خرجت انعزلت » ، وبالغ في الحط من الخليفة الوزير علي بن طراد « حيث بالغ بأعباء القضية واجتمع بالقضاة والمفتين وخوّفهم وارهبهم ان لم يخلعوا الراشد » وكتب محضراً فيه : « ان ابا جعفر بن المسترشد بدا منه سوء أفعال وسفك دماء ، وفعل ما لايجوز ان يكون معه اماما وأشهد بذلك جماعة » (٩) ، وذكر ابن الاثير أن مسعوداً لما جمع القضاة والشهود والفقهاء عرض عليهم اليمين التي حلف بها الراشد بالله لمسعود بخط يده « اني متي جندت او خرجت او لقيت احدا من اصحاب السلطان بالسيف فقد خلعت نفسي من الامر » (١٠) . في حين يذكر ابن خلدون انهم ذكروا ما ارتكبه الخليفة من أخذ الاموال ومن الافعال الفادحة في الامامة وختموا آخر المحضر بان من هذه صفته لا يصلح ان يكون اماما (١١) . ويرى ابن دحية الكلبي (ت ، ٦٣٣) وابن العماد الحنبلي

(٩) الذهبي ، العبر في خبر من غير ، ج ٤ (الكويت ، ١٩٦٣)

٨٠-٨١ ، دول الاسلام ، ٥١/٢ .

(١٠) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٦٠/١٠ ، ابن العبري ، مختصر

الدول ، ٣٥٦ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٢٤٢/١١ .

(١١) العبر ، ٣م (بيروت ، ١٩٥٧) ١٠٥٧ .

(ت ، ١٠٨٩) ، بأن ما اورده مسعود السلجوقي والوزير الزيني في المحضر المتخذ ضد الراشد بالله ، واتهامه بالظلم وأخذ الاموال بدون حق ، كل ذلك افتراء على الخليفة ، وبعيد كل البعد عن الحقيقة (١٢) ، ويؤكد الدكتور محمد الزهراني ، بانه يبدو واضحاً كل الوضوح ان الخط الذي نسبته مسعود السلجوقي الى الراشد بالله كان مزوراً ، وعبارة عن ذريعة يتذرع بها لخلعه لان مسعود السلجوقي لم يلتق بالراشد بالله بعد مقتل المسترشد بالله ، ولم يكن لمسعود السلجوقي ولا لبقية الامراء السلاجقة يد في تنصيبه خليفة ، ولم يذكر احد من المؤرخين انه كانت هناك مراسلات بين الراشد ومسعود السلجوقي ، هذا فضلاً عن انه لو كان ذلك الخط قد كتبه الراشد بالله حقيقة ، لما كان هناك داع للضغط على القضاة والفقهاء وتلفيق التهم لخلعه ، اما فيما يتعلق بموقف الوزير ابن طراد الزيني ومن وقف الى جانبه من كبار الموظفين فلا يخرج عن افتراضين اولهما ، انهم تعرضوا لضغط شديد من السلطان السلجوقي اثناء وقوعهم في أسره ، فاكرهوا على مسايرته وتنفيذ رغباته (١٣) ، اما الافتراض

(١٢) النبراس (بغداد ، ١٩٤٦) ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ١٠١ .

(١٣) د . محمد بن جعفر الزهراني ، نفوذ السلاجقة السياسي في الدولة العباسية (بيروت ، ١٩٨٢) ، ٣٤١ .

الثاني فهو ان الوزير الزيني كان صهرا للامير العباسي المرشح للخلافة وهو محمد بن المستظهر بالله ، وهو المقتفي بأمر الله فكان من الطبيعي ان يقف ضد الراشد بالله آملا في ان يعاد الى منصب الوزارة فضلا عما قد يصل اليه من نفوذ في الخلافة على يد صهره (١٤) .

ولذا تقرر بشكل نهائي عزل الخليفة الراشد وتولية المقتفي وكما مر بنا فان الراشد بالله كان مع زنكي في الموصل ، ولذا فقد اصبح للخلافة العباسية خليفتان ، احدهما ببغداد والآخر بالموصل ، وهذا يماثل ما حدث في فترة التسع سنوات (٥٤٧ - ٥٥٦ هـ) حيث كان المعتز خليفة بسامراء والمنتصر ببغداد (١٥) . وكان على الخليفة الجديد ان يتخلص اولا من مشكلة الراشد ومن يسانده من القوى الاخرى فضلا عن مسعود السلجوقي الذي استولى على جميع ما في دار الخلافة ولم يبق منها شيئا سوى اربعة افراس وثمانية بغال للماء « وقيل انهم بايعوه على ان لا يكون عنده خيل ولا آلة

(١٤) الفارقي ، نبذة من تاريخه (هامش صفحة ٢٥١ من كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي (الذهبي ، دول الاسلام ، ٥٢/٢ .

(١٥) راجع د . فاروق عمر ، الخلافة العباسية فترة الفوضى العسكرية .

سفر « (١٦) - ولقد بعث الخليفة السابق الراشد وزنكي برسل الى المقتفي برئاسة كمال الدين محمد ابن عبدالله الشهرزوري (١٧) ، وحاول المقتفي ان يكسب زنكي الى جانبه حيث زاد من اقطاعه والقباه مما ادى بزنكي الى ان يخطب للمقتفي في الموصل في رجب سنة ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م مما اضطر الراشد بالله ان يتركها على اثر تخلي زنكي عنه (١٨) ، ويذكر الذهبي ان زنكي دفع الراشد عن الموصل وبقي حائراً وجاء الى مراغه (١٩) ، واتجه الى همدان والى خوزستان ، ومعه داود بن محمد السلجوقي ومعهما خوارزمشاه فاتجها نحو الحويزة ، اما مسعود السلجوقي فقد اتجه الى بغداد في حين بدأ انصار الراشد بالتفرق عنه حتى بقي وحده حيث اتجه الى اصفهان ثم اغتيل فيها (٢٠) ، وبذلك اتضحت الامور واصبح محمد بن المستظهر بالله خليفة ولقب بالمقتفي لامر الله وذلك في ١٨ / ذي الحجة ، عام ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م ، وصار الخليفة الشرعي بنظر الرعية حيث

(١٦) الذهبي ، العبر ، ٨١ / ٤ ، دول الاسلام ، ٥٢ / ٢ .

(١٧) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ٤٤ / ١١ .

(١٨) ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج ٣ (القاهرة /

١٣٢٥ م ص ١١ .

(١٩) مراغة : ويوجد فيها قبر ابيه حيث بكى عنده وحث على

رأسه التراب ، راجع الذهبي ، المصدر السابق ، ٨٤ / ٤ ،

دول الاسلام ، ٥٢ / ٢ - ٥٣ ، ابن الجوزي ، ٦٧ - ١٠ .

(٢٠) الذهبي ، العبر في خبر من غير ، ٨٤ / ٤ ، ابن الجوزي ،

المنتظم ، ٦٧ / ١٠ .

تم في سنة ٥٣٥هـ / ١١٤٠م تقليده البردة النبوية الشريفة والقضيب ، وكانا قد اخذا من المسترشد حيث بعث بهما سنجر السلجوقي مع رسل له (٢١) *

المبحث الثاني : السيرة الشخصية للخليفة المقتفي لأمر الله :

اسمه ونسبه :

هو ابو عبدالله محمد بن احمد المستظهر بن عبدالله المقتدي بأمرالله بن الأمير ذخيرة الدين محمد بن القائم بن احمد القادر بن الامير اسحق بن جعفر المقتدر بن المعتضد بن الامير طلحة بن جعفر المتوكل ابن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي ابن عبدالله المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس الهاشمي (٢٢) *

تلقبه بالمقتفي لأمر الله :

روي انه رأى في منامه قبل ان يستخلف بسة ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال له : «سيصل

(٢١) ابن الاثير ، الكامل ، ٧٩/١١ *

(٢٢) ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ، تح د . مصطفى جواد (بغداد ، ١٩٧٠) ٢٢٨ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، تح شعيب الارنؤوط ، ومحمد نعيم العرقسوسي ، ج ٢ (بيروت ١٩٨٥) ٣٩٩ *

(٢٣) الذهبي ، المصدر السابق ، ٤٠١/٢٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ (القاهرة ، ١٣٥٨هـ) ٢١٠ ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء (بيروت ، ١٩٥٢) ٤٣٧ *

هذا الامر اليك ، فأقتف بي ، فلذا لقب بالمقتفي
بالله « (٢٣) * .

ولادته :

ولد المقتفي في شهر ربيع الاول سنة ٤٨٩ هـ /
١٠٩٥ م وامه يقال لها نزهة ، وتدعى ست السادة ،
وكانت موصوفة بالكرم والافضال « (٢٤) * .

ابناؤه :

ولد للمقتفي عدة ابناء منهم ابو احمد ، وكان
موصوفا بالعقل والصلاح مع فضل وادب ، وابو
جعفر عبدالله ، وعيسى ، وابو المظفر يوسف (٢٥) * .

اخوته :

كان للمقتفي من الاخوة ، المسترشد ، والامير
ابو القاسم ، وابو الحسن عبدالله والامير ابو طالب
العباس (٢٦) * .

اشتغاله بالعلم والادب :

كان مواضبا على نسخ كتب العلوم قبل خلافته،
وقد سمع الحديث من مؤدبه أبي البركات احمد بن

(٢٤) ابن الكازروني ، المصدر السابق ، ٢٨٨ * .

(٢٥) ابن الكازروني ، المصدر السابق ، ٢٣١ * .

(٢٦) نفسه ، ٢٢٨ * .

عبدالوهاب ابن السبيبي ، وحدث عنه ، وسمع منه
الحديث الوزير ابو المظفر يحيى بن هبيرة وروى
هنا (٢٧) *

مبايعته بالخلافة :

لما حكم القضاة بخلع الراشد ، بويع عمه المقتضي
لامر الله في ١٨ ذي القعدة سنة ٥٣٠ هـ ، فحضر
بيعته اقاربه وخواصه والولاة والقضاة والفقهاء
والمدول وارباب الدولة والناس على طبقاتهم ،
وتولى اخذ البيعة له على الناس الوزير ابو القاسم
على بن طراد حتى تم له الامر ، وخطب له بالخلافة
يوم الجمعة ٢٠ / ذي القعدة / بجميع جوامع مدينة
السلام ، وكان عمره لما بويع له ٤١ سنة ، و(٨)
أشهر (٢٨) *

صفته ونقش خاتمه :

كان تام الطول ، عبل الجسم فى مقدم لحيته
طول وقد خطه الشيب ، وكان نقش خاتمه « كن من
الله على حذر تسلم » (٢٩) *

(٢٧) نفسه ، ٢٢٨ *

(٢٨) ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ، ٢٨٨ *

(٢٩) نفسه ، ٢٢٨ *

وفاته :

توفي المقتفي ليلة الاحد ١٢ / شهر ربيع الاول /
سنة ٥٥٥ هـ عن عمر يناهز ٦٦ سنة الا اياما كانت
خلافته (٢٤) سنة و (٣) شهور و (١٤) يوما ،
وصلي عليه يوم الاحد ، ودفن بدار الخلافة ، ثم نقل
الى قرب الرصافة في ليلة الاربعاء ١٣ / شهر ربيع
الاول سنة ٥٥٦ هـ ، وكان جعل ولده الامير ابا المظفر
يوسف ولي عهده وكتب بذلك الى جميع البلاد (٣٠) .

المبحث الثالث : موقف المؤرخين من الخليفة المقتفي لامر الله :

كان المقتفي لامر الله قد جعل لنفسه مكانا بارزا
في سفر التاريخ ، حيث استحق تلك المكانة من خلال
الانجازات الكبيرة التي اقترنت باسمه ، ومن خلال
تخليد المؤرخين الكبار لذلك الدور القيادي للمقتفي
في تاريخ العرب ، ولكي نلقي ضوءاً على تلك
المكانة التاريخية نود أن نبين آراء المؤرخين فيه .
لقد اشاد المؤرخون بمكانة وشخصية الخليفة
المقتفي لامر الله ، فلقد قال عنه ابو طالب عبد
الرحمن بن محمد بن عبد السميع الهاشمي في كتابه
المناقب العباسية :

(٣٠) نفسه ، ٢٣٠ .

« كانت ايام المقتضي نضرة بالعدل ، زاهرة
 بفعل الخيرات ، وكان على قدم من العبادة قبل
 افضاء الامر اليه ، وكان في اول امره متشاغلا
 بالدين ونسخ العلوم وقراءة القرآن ولم ير مع
 سماحته ولين جانبه ورأفته بعد المعتصم خليفة في
 شهامته ، وصرامته ، وشجاعته مع ما خص به من
 زهده وورعه وعبادته ولم تنزل جيوشه منصوره حيث
 يمت « (٣١) ، وقال عنه ابن الجوزي (ت ، ٥٩٧) :
 « من ايام المقتضي عادت بغداد والعراق الى يد
 الخلفاء ، ولم يبق لها منازع ، وقبل ذلك من دولة
 المقتدر الى وقته كان الحكم للاستغلبين من الملوك وليس
 للخليفة معهم الا اسم الخلافة . . وكان شجاعا جوادا
 كريما محبا للحديث وسماعه معتنيا بالعلم مكرما
 لاهله » (٣٢) ، وقال ايضا : « وكان صاحب سياسة
 جدد معالم الامامة ، ومهد رسوم الخلافة وباشر
 الامور بنفسه ، وغزا غير مرة وامتدت ايامه » (٣٣) .
 وقال عنه البنداري :
 « وملك الخليفة العراق من اقصى الكوفة الى

(٣١) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٢٠ / ٤٠٠-٤٠١ ، السيوطي ،
 تاريخ الخلفاء ، ٤٤١ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ،
 ١٧٣ / ٤ .

(٣٢) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ٤٤١ ، ابن العماد الحنبلي ،
 شذرات الذهب ، ١٧٣ / ٤ .

(٣٣) ابن العماد ، المصدر السابق ، ١٧٣ / ٤ .

حلوان ، ومن ناحية تكريت الى عبادان ، واقطع
واسط واعمالها والبصرة وانهارها ومعاقلها ،
وولاياتها ، والحلة والكوفة ونهر الملك ، ونهر
عيسى والدجيل والراذان وطريق خراسان الى نواحي
حلوان واقطع الوزير عون الدين ابن هبيرة جميع
ما كان لوزير السلطان ، وارباب مناصيه في جميع
هذه البلاد واعانته على الاستعداد واضماف
الاعداء» (٣٤) .

« وكان حليما كريما عادلا حسن السيرة من
الرجال ذوي الرأي والعقل الكثير ، وهو اول من
استبد بالعراق منفرداً عن سلطان يكون معه من أول
ايام الديلم الى الآن واول خليفة تمكن من الخلافة
وحكم على عسكره واصحابه من حين تحكم المماليك
على الخلفاء من عهد المستنصر الى الآن ، الا أن يكون
المعتضد ، وكان شجاعا مقداما مباشراً للحروب
بنفسه ، وكان يبذل الاموال العظيمة لاصحاب
الاخبار في جميع البلاد حتى كان لا يفوته منها
شيء» (٣٥) ، وقال عنه ابن الكازروني : « وكانت
ايامه بالعدل نضرة زاهرة وكثرت العلوم في ايامه
ورغب الناس الى الاشتغال بالعلم وكان قبل الخلافة
على قدم من العبادة واستمر على ذلك بعدها ، وكان

(٣٤) تاريخ آل سلجوق ٢١٥ .

(٣٥) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٢٥٦/١١ .

اول امره متخشيا مواضبا على نسخ كتب العلوم ولم
ير في سماحته ولين جانبه ووطأة اكنافه وسعة رأفته
وكثرة مبراته بعد الامام المعتصم بالله ، خليفة في
شهامته وصرامته وحلمه وشجاعته وزهده وعفته ،
وخرج عليه في ايامه من سلاطين الوقت جماعة فلـ
الله جموعهم» (٣٦) .

وقال عنه ايضا : « . . . ولم يزل منصورا مؤيدا
وكان حليما قل من استقاله عشرة الا أقاله أو سألـه
الا اجاب سؤاله ، وكان مع اهتمامه بمصالح ماله
يتعدى لاسماع الاخبار حتى تنقل عنه الآثار» (٣٧) .
واشاد به المؤرخ الكبير الامام الذهبي (ت ، ٧٤٨هـ)
عندما قال عنه : « كان المقتضي عاقلا لبيبا ، عاملا
مهيبا ، صارما ، جوادا ، محبا للحديث والعلم ،
مكرما لاهله ، وكان حميد السيرة ، يرجع الى تدين
وحسن سياسة ، جدد معالم الخلافة ، وباشر المهمات
بنفسه ، وغزا في جيوشه» (٣٨) ، « كان لا يجري في
دولته شيء الا بتوقيعه . . اقام حشمة الخلافة ،
وقطع عنها اطماع السلاطين السلجوقية وغيرهم» (٣٩)

(٣٦) مختص التاريخ ، تح د . مصطفى جواد (بغداد ، ١٩٧٠)

٢٢٨-٢٢٩ .

(٣٧) نفسه ، ٢٣٠ .

(٣٨) سير اعلام النبلاء ، ٢٠ / ٤٠٠ .

(٣٩) نفسه ، ٢٠ / ٤٠١ .

وقال الذهبي أيضا « كان المقتضي من سروات الخلفاء عالما ، اديبا ، شجاعا ، حليما ، دمث الاخلاق ، كامل السؤدد ، خليقا للامامة ، قليل المثل في الائمة ، لايجري في دولته امر وان صغر الا بتوقيعه » (٤٠) .
وقال عنه ابن الوردي (ت ، ٧٤٩ هـ) : « اقام حشمة الدولة العباسية وقطع عنها طمع السلاطين » (٤١) .

وقال عنه ابن كثير (ت ، ٧٧٤ هـ) : « وكان شهما شجاعا مقداما ، يباشر الحروب بنفسه ، ويشاهد الحروب ، ويبذل الاموال الكثيرة لاصحاب الاخبار ، وهو أول من استتبذ بالعراق منفرداً عن السلطان ، من اول ايام الديلم الى ايامه ، وتمكن من الخلافة وحكم على العسكر والامراء » (٤٢) ، وقال عنه ابن دقماق (ت ، ٨٠٩ هـ) : « وكان المقتضي موفق الأمراء والاصحاب » وقال : « و... صفت الدنيا للمقتضي » (٤٣) . وقال عنه القلقشندي (ت ، ٨٢٠ هـ) : « كان حسن السيرة » (٤٤) . وقال ابو

(٤٠) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ٤٤٠ .

(٤١) تاريخ ابن الوردي ، ج ٢ (التجف ، ١٩٦٩) ٨٩ .

(٤٢) البداية والنهاية ، ١٢ / ٢٤١ .

(٤٣) ابن دقماق ، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تج د . سعيد عبدالفتاح عاشور (القاهرة ، ١٩٨٢) ١٦٨ .

(٤٤) مآثر الانافة في معالم الخلافة ، ج ٢ (بيروت ، لات) ٣٦ .

الفداء : « وهو أول من استبد بالعراق منفرداً » (٤٥)؛
 وقال السيوطي (ت ، ٩١١ هـ) ، معانقا على دور
 المقتضي في الحد من نفوذ السلاجقة بقوله : « ...
 فسبحان مذل الجبايرة ، وتمكن الخليفة المقتضي ،
 وزادت حرمة ، وعلت كلمته ، وكان ذلك بعد
 اصلاح الدولة العباسية ، فلله الحمد » (٤٦) .
 و اضاف قائلاً عنه : « وكان محمود السيرة ، مشكور
 الدولة ، يرجع الى دين وعقل وفضل ورأي وسياسة ،
 جدد معالم الامامة ، ومهد رسوم الخلافة وباشر الامور
 بنفسه ، وغزا غير مرة ، وامتدت ايامه » (٤٧) ، وقال
 عنه الديار بكري (ت ، ٩٨٢ هـ) : « كان اماما عالما
 فاضلا اديبا شجاعا كامل السؤدد ، خليقا للخلافة
 قليل المثل » (٤٨) ، وقال ابن العماد الحنبلي (ت ،
 ٨٩٠ هـ) : « كان عالما فاضلا دينيا حليما شجاعا
 مهيبا خليقا للامارة كامل السؤدد ، كان لا يجري في
 دوائته امر وان صغر الا بتوقيعه » (٤٩) ، وقال عنه
 المكي : « وكان محمود السيرة مرضي السياسة يتصف
 بفضل ودين وعقل ورأي وسياسة ، جدد معالم
 الامامة ومهد رسوم الخلافة ولم ير مع سماحته ولين

(٤٥) المختصر في اخبار البشر ، ج ٣ (القاهرة ، ١٣٢٥ هـ) ٣٧ .

(٤٦) تاريخ الخلفاء ، ٤٣٨ .

(٤٧) نفسه ، ٤٤١ .

(٤٨) تاريخ الخميس ، ج ٢ (القاهرة ، ١٢٨٣ هـ) ٤٥ .

(٤٩) شذرات الذهب ، ١٧٢/٤ .

جانبه ورافته بعد المعتصم خليفة مثله من شهامته
وصرامته « (٥٠) ، واشاد به نظمي زاده بقوله : « ولم
تعد للخلافة العباسية تلك الهيبة والعظمة الا في
زمن المقتفي الذي مد في عمرها ، واعاد اليها هيبتها
امام الاجانب وغيرهم » (٥١) ، واكد الاستاذ علي
ابراهيم حسن ، بان المقتفي لامر الله كان على جانب
كبير من الشجاعة والشهامة « (٥٢) ، ولذلك نجد ان
المؤرخين قد اشادوا بذكره ، وان ذلك خير دليل
وشاهد على قوة شخصيته ومقدرته على تحمل اعباء
المسؤولية النضالية للخلافة العباسية ضد القوى
الاجنبية الدخيلة المتغلبة والطامعة في العراق ، وفي
الخلافة عامة .

-
- (٥٠) سمط النجوم العوالي ، ٣/٣٧٣ .
(٥١) كلشن خلفا ، (النجف ، ١٩٧١) ١١٧ .
(٥٢) التاريخ الاسلامي العام (القاهرة ، ١٩٥٩) ٤٥٧ .

الفصل الثالث

صعوبة موقف الخليفة المقتدي لامر الله

في بداية توليه الخلافة

يعد نفوذ السلاجقة من ابرز الاخطار المحدقة بالخلافة العباسية منذ بداية احتلالهم لبغداد في ٢٥ رمضان سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م ، وتفاقم هذا الخطر على مر الايام ، وحرص الحكام السلاجقة منذ البداية على تجريد الخليفة من كل ما يمتلك من اسباب القوة والنفوذ لكي يكون تحت تصرفهم ، لقد اساء السلاجقة معاملة الخليفة المقتضي منذ البداية ، رغم سيطرتهم على كافة الامور ، على الخلافة عامة ، وبغداد بخاصة ، ويمكن ان ندرك حقيقة موقف الخليفة وصعوبته من خلال وصف الوضع الآتي للعراق وبغداد والخلافة : « ٠٠٠ وكانت السدة الشريفة الامامية قد منيت بجور الاعاجم ، ولم يزل عودها من عداوتهم تحت سن الاعاجم وكان اهون ما عندهم خلاف الخليفة وعناده ، وتمردهم عليه بان يحصل مرادهم لا مراده ، ولم تنزل بغداد مظلمة مشحونة منهم بالشحن المظلمة ، ولهم من الديوان العزيز مطالب لا يفي بها خواصه ٠٠ والحرم من جناياتهم خائف ٠٠ والشرف لمهاتهم عائق ٠٠ والدماء والفروج مستباحة مهدورة ، والخليفة يقضي ويغضب ، ويعتب ولا يعتب ويقدر عليه ولا

يقدر ، ويفدر به . . « (١) . ولقد اساء مسعود السلجوقي منذ البداية معاملة الخليفة المقتفي لامر الله ، وتجاوز معه حدود الادب واللياقة ، واستولى على جميع ما في دار الخلافة بين خيل وبغال وآثاث هذا فضلا عن الاموال ، ولم يترك للخليفة سوى اربعة خيول وثمانية بغال ، وقيل ثلاثة برسم الماء (٢) .

وذكر ابن الجوزي (ت ، ٥٧٩ هـ) ، والذهبي (ت ، ٧٤٨ هـ) ، ان مسعود السلجوقي بايع المقتفي لامر الله بالخلافة شرط ان لا يكون عنده خيل ولا عدة سفر ، واستخلفه على ان لا يشتري طيلة خلافته مملوكا تركيا ولهذا كان جميع غلمانہ اما من الارمن او من الروم (٣) ، وذكر السيوطي (ت ، ٩١١ هـ) ، ان مسعوداً السلجوقي ، جعل دخل الخليفة قاصراً فقط على العقار الخاص (٤) .

ويمكن ادراك سوء معاملة مسعود السلجوقي للخليفة المقتفي لامر الله ، وجرأة المقتفي ، وما قاله

(١) البنداري ، تاريخ دولة ال سلجوق ، القاهرة، ١٩٠٠ (٢١٤) .

(٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٦٠/١٠ - ٦١ ، الذهبي ، العبر ،

٨١/٤ ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ١٧٥ ، ابن العماد

الحنبلي ، شذرات الذهب ، ١٧٣/٤ .

(٣) المنتظم ، ٦١/١٠ ، دول الاسلام ، ٩٢/٢ ، العبر ، ٨١/٤

(٤) تاريخ الخلفاء ، ١٧٥ .

لمسعود السلجوقي الذي ألح عليه في طلب المزيد من المال وذلك من خلال نص قول المقتضي لمسعود السلجوقي : « ما رأينا أعجب من أمرك أنت تعلم أن المسترشد بالله سار اليك بأمواله فجرى ما جرى ، وعاد أصحابه ، عراة ، وولي الراشد ففعل ما فعل ورحل وأخذ ما بقي من الأموال ، ولم يبق في الدار سوى الاثاث فأخذته جميعا ، وتصرفت في دار الضرب ، ودار الذهب ، وأخذت التراكات والجوالي ، فمن أي وجه نقيم لك هذا المال ؟ وما بقي إلا أن نخرج من الدار ونسلمها لك ، فاني عاهدت الله تعالى أن لا أخذ من مال المسلمين حبة واحدة ظلما » (٥) ، ولعلنا يمكن أن ندرك حقيقة موقف الخليفة المقتضي من خلال النص الاتي الذي أورده ابن طباطبا (ت ، ٧٠٩ هـ) عندما قال : « وكان الخليفة المقتضي من أفاضل الخلفاء ، ولما اجلسه مسعود وباع له ، وكان قد أخذ جميع ما بدار الخلافة من ذهب وأثاث ورحل وغير ذلك ، وتصرف نوابه في جميع العراق وأرسل إلى المقتضي يقول له : اذكر ما تحتاج إليه أنت وكل ما يتعلق بك حتى أعين لك به اقطاعات ، فأرسل إليه المقتضي يقول له : « عندنا بالدار ثمانون بغلا تنقل الماء من دجلة ليشر به عيالنا ، فانظر أنت كم يحتاج إليه من شرب في كل يوم ماءً يحمله ثمانون بغلا ،

(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ / ٦٦ .

فقال مسعود : لقد اجلسنا في الخلافة رجلا عظيما
قاله تعالى يكفيننا شره « (٦) » *

كما كان الخليفة يواجه مضايقات من نائب
واتباع مسعود السلجوقي ، حيث كان اصحاب مسعود
يتصرفون ببغداد تصرفات سيئة مخالفة لكل القيم
والاعراف ، وكان الخليفة يكتب بذلك شاكيا الى
مسعود السلجوقي من تصرفات نائبه ولكن بدون
جدوى (١) *

هكذا كانت طبيعة الملاقة بين المقتضي
والسلاجقة ، ويمكننا ادراك صعوبة قراره في مواجهة
السلاجقة ، غير انه كان ذكيا التزم جانب الصبر
والحكمة ، ولم يتعجل الثورة عليهم ، حيث انه استفاد
من تجارب سلفه المسترشد بالله والراشد بالله ،
والتزم جانب الحكمة والتخطيط الشجاع والمدرس
لمواجهة الموقف *

(٦) الفخري في الاداب السلطانية ، ٣١٠ *

(٧) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ، ١٢٩ *

الفصل الرابع

وزراء الخليفة المقتفي لأمر الله

اهتم الخليفة المقتضي لأمر الله اهتماما كبيرا في امر اختيار الوزراء ، حيث اعاد بطموحه وجراته المؤسسة الوزارة قيمتها واهميتها كمؤسسة ادارية مهمة تؤدي خدماتها الجليلة للخلافة ، وعادت الوزارة في عهده الى ممارسة دورها القيادي ، ولذلك اهتم الخليفة المقتضي بأمر اختيار الوزراء ، حيث لعب وزراؤه دوراً مهماً في دعم واسناد سياسة الخليفة ، وبالاخص دور وزيره ابن هبيرة الدوري الشيباني الذي كان الساعد الايمن للخليفة ، وسنتطرق الى دوره القيادي في دعم واسناد سياسة الخليفة في تحرير العراق من السيطرة السلجوقية ، وكان اول وزراء المقتضي علي بن طراد الزيني الذي تولى أخذ البيعة له على الناس ، ثم عزله بعد سنتين واستوزر ابا نصر علي بن محمد بن جهير ، وعزله فوزر له بعدها علي بن صدقة الذي عزله ايضا واستقر رأيه أخيراً على اتخاذ أبي المظفر يحيى بن هبيرة وزيراً وظل معه حتى وفاة الخليفة (١) ، وكان وزيراً ذا رأي وعلم ودين وثبات في الامور (٢) ، ويعلق ابن دحية الكلبي (ت ، ٦٣٣ هـ) على استيزاره من قبل المقتضي بقوله : « وصفت له الدنيا ، وسعد بوزيره ابن

-
- (١) ابن الكازروني ، مختصر التاريخ (بغداد ، ١٩٧٠) ٢٣١ .
(٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ٢٣٥/٦ .

هبيرة) (٣) ، فقد انحدر من وسط اجتماعي متواضع حيث كان من طبقة الكادحين وكان والده اكاراً (٤) ، بحث ولده على تحصيل الادب والعلم وكان يردده صغيراً الى بغداد ويحضره الى مجالس الصدور وصدور المجالس ، ومات ابوه وهو صبي متفرد بالاشتغال فمكث فيها مدة ومشاهدته في كل سنة مائة الف دينار ، وكان مولده في قرية تعرف بالدور (٥) من اعمال الدجيل (٦) ، وتدرج في المناصب ، وأول ولايته الاشراف بالأقربة الغربية ، ثم نقل الى الاشراف على الامانات المخزنية ، ثم قلد الاشراف بالمخزن ولم يطل في ذلك مكثه حتى قلد في (سنة ٥٤٢ هـ) ديوان الزمام (٧) ، ولعل سبب استيزاره يعود الى كونه اظهر شجاعة وكفاءة في الدفاع عن بغداد ومقر الخلافة

(٣) النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس (بغداد ، ١٩٤٦)
١٥٧ .

(٤) الاكار : الزراع ، وفي رواية الحراث الذي يحراث في الارض ، وفي الحديث : انه نهى عن المؤاكره ، يعني المزارعة على نصيب معلوم مما يزرع في الارض (ابن منظور ، لسان العرب ، ١ / ٧٧) .

(٥) الدور : قرية من عمل دجيل تعرف بدور بني أوقر ، وهي المعروفة بدور الوزير ، وهو الوزير ابن هبيرة ، لانه كان منها ، وبني الوزير بها جامعاً ومنارة بينها وبين بغداد خمسة فراسخ (البغدادي ، مرصد الاطلاع ، ٢ / ٥٤٠) .

(٦) ابن طباطبا ، الفخري في الاداب السلطانية ، ٣١٢ .

(٧) ابن خلكان ، المصدر السابق ، ٢٣١ / ٦ .

المحاصرة من قبل السلاجقة من انتصار محمود السلجوقي ، بسبب معاداة مسعود للخلافة ، ففي عام ٥٤٣ هـ وصلت قوات كبيرة من أكابر الامراء السلاجقة وعلى رأسهم محمود السلجوقي وضربوا الحصار حول بغداد وطلبوا من الخليفة ثلاثين الف دينار ليرحلوا عنها ، واختلف رجال الخلافة العباسية في تحقيق مطالب السلاجقة ، في الوقت الذي أصر ابن هبيرة على وجوب رفض طلب السلاجقة ، وكان هو على ديوان الزمام حيث قال للخليفة : « هؤلاء خرجوا عليك وعلى السلطان وجأهروا بالعصيان ، فأجعل بالله الاستجارة ، وقدم منه الاستخارة وانفق ما عزمت على بذله لهم في عسكر يقاومهم ويدفع شرهم ، فانك ان دفعتهم بالعطاء لم تسلم من عبث السلطان مسعود ، وان هزمتهم باللقاء قلت له اني قللت جنود عصيانك من اهل طاعتك بجنود ، وانت لاتحمد على ما تحمل ولا تشكر على تعمل » (٨) ، فاستمع الخليفة لرأيه وجمع الجيوش وقال : « اني ارى المشورة الهبيرية اريا مشورا وصوب صوابه ليرى الرأي مشكورا فجاء به وزير عليه صبيب الوزارة » (٩) . وعلى اثر انتصار الخليفة على السلاجقة ، استدعاه الخليفة الى داره وقلده الوزارة

(٨) البنداري تاريخ دولة آل سلجوق ، ٢٠٥ .

(٩) نفسه ، ٢٠٥ ومعنى : « أرياً مشوراً : اي عسلاً مجتنى او مستخرجاً » .

كما سنرى فيما بعد وذلك في ربيع الآخر سنة ٥٤٤ هـ ، وكان القمر على تربييع زحل ، « فقليل له لو أخرت لبس الخلعة لهذه التربييعات ؟ فقال وأي السعادة اكبر من وزارة الخلافة؟ ولبسها ذلك اليوم» ،

(١٠) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١١/١٤٦ « وقد استدعى الخليفة المقتفي عون الدين بمطالعة على يد اميرين من امراء الدولة ، فتبين بقراءته لها التباشير في اسرته فركب الى دار الخليفة في جماعته وتسامع الناس بوزارته ولما وصل الى باب الحجرة استدعي فدخل وقد جلس له المقتفي بيمينه التاج ، فقبل الارض وسلم ، وتحدثا ساعة بما لم يحيط به غيرهما علما ، ثم خرج وقد جهز له التشريف على عادة الوزراء فلبسه ثم استدعي ثانيا فقبل الارض ودعا بدعاء المحبب للخليفة ثم انشده :

سأشكر عمراً ما تراخت منيتي
أيادي لم تمنن وان هي جلت
رأى خلتي من حيث يخفي مكانها
فكانت بمرأى حتى تجلت

ثم ان عون الدين خرج فقدم له حصان ادهم سائل الغرة ومججل عليه من الحلبي ما جرت به عادتهم مع الوزراء وخرج بين يديه ارباب المناصب واعيان الدولة وامراء الحضرة من جميع خدام الخلافة ، وسائر حجاب الديوان والطبول تضرب امامه والمستند وراءه محمول على عادتهم في ذلك حتى ادخل الديوان ونزل على طرف الديوان وجلس في الدست وقام لقراءة عهده الشيخ سديد الدولة ابو عبدالله محمد بن عبدالكريم الانباري ،



ولقبه الخليفة « عون الدين » وكان الوزراء السابقون يلقبون « سيد الوزراء » فرفض ان يلقب بذلك ، ويرى د . حسين امين ان العباسيين تأثروا بالسلاجقة في تلقيب وزرائهم بهذه الالقاب وغيرها (١٢) ، ولذا فانه كرم من قبل الخليفة ، وقد اشاد بذكره المؤرخون ، يقول ابن طباطبا : « كان المقتضي والمستنجد يقولان : ما وزر لبني العباس كيحيى بن هبيرة في جميع احواله ، وكان له في قمع

وكان لقبه جلال الدين ، فلما ولي الوزارة لقبوه عون الدين ، (ابن خلكان ، وفيات الاعيان ٢٧٦/٦ - ٢٧٧) ، وانظر في ذلك عن تقليده الوزارة : (ابن الجوزي) ، المنتظم ، ١٣٧/١٠ ، الذهبي ، العبر ، ١٢١/٤ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٢٥/١٢ .

(١١) يقول ابن طباطبا ، ومن افكاره اللطيفة ان الوزراء كانوا يلقبون قبله القابا من جملتها سيد الوزراء ، فتقدم هو الى الكتاب الا يكتبوا هذا اللقب في القابه وقال : انني فكرت في هذا فرأيت الله تعالى قد سمى هارون وزيرا حتى قال عز من قائل ، حكاية عن موسى عليه السلام « واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به ازري » وسمعت عن النبي عليه السلام انه قال : « لي وزيران من اهل السماء ، جبرائيل ، وميكائيل ووزيران من اهل الارض ابو بكر وعمر » وقال عليه السلام : « ان الله تعالى اختار لي اصحابا فجعلهم وزراء وانصار » ، (الفخري في الاداب السلطانية ، ٣١٣) .

(١٢) د . حسين امين ، مجلة سومر ، م ٢٠ ، (بغداد ، ١٩٦٤) ، ٢١٥ .

الدولة السلجوقية يد قوية وحيل مرضية» (١٣) ، وكان
ذا رأي وعلم ودين وثبات في الامور (١٤) ، وكان
يلجأ الى الاساليب الحكيمة في مواجهة اعداء الخلافة
العباسية بلجونه الى الحيل والدهاء (١٥) ، وكان جريصا
جدا في المحافظة على اسرار واوامر الخليفة بسرية
شديدة . فيروي ابن طباطبا انه « كان يكب الى ملوك
الاطراف ولصقات صفارا في رق خفيف ويشق في

(١٣) ابن طباطبا ، المصدر السابق ، ٣١٢ .

(١٤) القزويني ، اثار البلاد واخبار العباد ، ٣٦٧ .

(١٥) يذكر ابن طباطبا انه كان ببعض بلاد العجم رجل كلما
اقيمت الخطبة يوم الجمعة في الجامع يقوم ويذم الخليفة
ويدعو للسلطان ، فأتصل ذلك بالوزير ابن هبيرة ، فأحضر
شخصا من اهل بغداد ، وامره ان يسافر الى تلك البلدة
واعطاه عشرة دنانير ذهبا وقارورة فيها خطر وقال له :
« اذا دخلت تلك البلاد وحضرت يوم الجمعة في الجامع
ورأيت الرجل الذي يسب الخليفة فانهض اليه وانت على
التجار وأمن على كلامه واظهر البكاء عند سبه الخليفة
وقل : اي بالله ، فعل الله به وصنع ، وهل غرمني عن
عيالي ووطني وافقرني غيره ؟ ثم افعل في الجمعة الثانية
كذلك ، وقل له : قد حلفت اني املا فمك دنانير ، وضع
هذه الدنانير حشو فمه ، واخرج عنه ، وبادر الى استعمال
هذا الخطر على وجهك ولحيثك فانه يحدث في الوجه سمرة
وفي شيب اللحية سوادا ، وغير زيك حتى لا تعرف
فتهلك ، ففعل الرجل ذلك ، وكانت الدنانير مسمومة ،
فلما راح ذلك الرجل الى بيته مازال يتعلعل حتى مات من
يومه واستعمل الرجل المنقذ الصبغ فأخفى به نفيه ورجع
الى بغداد ، (الفخري في الاداب السلطانية ، ٣١٤) .

جلد ساق الركابي بمقدار ما يدخلها ثم يتركه حتى يلتحم ويسيره الى حيث أراد» (١٦) . فضلا عن انه كان قد اشتغل بالعلم ومجالسة الفقهاء والادباء ، وكان ممن سمع عنه الحافظ ابو الفرج ابن الجوزي ، واكرم اهل العلم والف كتباً مهمة (١٧) ، وكان

(١٦) ابن طباطبا ، الفخري ، ٣١٤ .

(١٧) ويشير ابن خلكان الى انه دخل بغداد في صباه واشتغل بالعلم وجالس الفقهاء والادباء وكان على مذهب الامام احمد ابن حنبل ، وسمع الحديث وحصل من كل ذلك طرفاً ، وقرأ الكتاب العزيز وختمه بالقرآن والروايات ، وقرأ النحو واطلع على ايام العرب واحوال الناس ، ولازم الكتابة وحفظ الفاظ البلغاء وتعلم صناعة الانشاء ، وكانت قراءته الادب على ابي منصور ابن الجواليقي ، وتفقه على ابي الحسين محمد بن محمد الفراء وصاحب الشيخ ابا عبد الله محمد بن يحيى بن علي بن مسلم بن موسى بن عمران الزبيدي الواعظ ، وسمع الحديث النبوي من ابي عثمان اسماعيل بن محمد بن قتيبة الاصبهاني ومن ابي القاسم هبة الله بن محمد بن الحسين الكاتب ومن بعدهما ، وحدث عن الامام المقتفي لامر الله امير المؤمنين وعن غيره وسمع منه خلق كثير منهم الحافظ ابو الفرج ابن الجوزي . . . (وفيات الاعيان ، ٢٧٤-٢٧٥ ، وصنف كتباً من ذلك كتاب « الافصاح عن شرح معاني الصحاح » ، وكتاب « المقتصد » ، واختصر كتاب « اصلاح المنطق » لابن السكيت ، وله كتاب العبادات في الفقه على مذهب الامام احمد ، وارجوزة في علم الخط وغير ذلك . . . » ٢٢٧ .

متواضعا يتصف بالسماحة والخلق الجديد (١٨) *
ويروى انه أمر بإخراج احد الشيوخ ومنعه من
الصلاة بالناس لانه زور بعض الكتب (١٩) *

لقد اشاد المؤرخون بمكانة وشخصية الوزير ابن
هبيرة ، فقال عنه ابن الجوزي (ت ، ٥٩٧ هـ) :
« وكان يجتهد في اتباع الصواب ، ويحذر الظلم ،
وكان يتحدث بنعم الله عليه ، ويذكر في منصبه شدة
فقره القديم » (٢٠) ، وقال عنه ابن الاثير
(ت ، ٦٣٠ هـ) : « كان ، خيرا ، عالما .. وكان ذا
رأي شديد » (٢١) ، وقال عنه ابن خلكان (ت ،
٦٨١ هـ) : « وظهر منه في ايام ولايته ما شهد له
بكفايته وحسن مناصحته وكان مكرما لاهل العلم ،

(١٨) راجع ابن طباطبا ، الفخري ، ٣١٢-٣١٣ وكان كثيرا ما
ينشد نفسه :

يا أيها الناس اني ناصح لكم

فعوا كلامي فاني زدت تجاريب

لا تلهينكم الدنيا بزخرفها

فما يدوم على حسن ولا طيب

(القزويني ، اثار البلاد واخبار العباد ، ٣٦٧) *

(١٩) ابن الجوزي ، غاية النهاية في طبقات القراء ، ج ٢

(القاهرة ، ١٩٣٣) ٢٩٥ *

(٢٠) المنتظم ، ٢١٥/١٠ ، ٢٤١ *

(٢١) الكامل في التاريخ ، ٣٢١/١١ *

يحضر مجلسه الفضلاء على اختلاف فنونهم « (٢٣) ، وقال عنه ابن طباطبا (ت ، ٧٠٩ هـ) : « له في تدبير الدولة وضبط المملكة اليد الطولى ، وله في العلوم والتصانيف التبريز على اهل عصره » (٢٣) * واشاد به الذهبي (ت ، ٧٤٨ هـ) قائلاً : « كان من اعيان الفقهاء الصالحين ، جم الفضائل ، وافر الحرمة ، كبير الشأن ، دائم العدل ، له تصانيف ، مات مسموما شهيداً ببغداد ، وشيعه الخلق ، وكثر البكاء والتأسف عليه رحمه الله » (٢٤) ، وقال عنه : « وكان شامة بين الوزراء لعدله ودينه وتواضعه ومعروفه » واشاد به ابن كثير (٢٥) ، (ت ، ٧٧٤ هـ) فقال : « كان من خيار الوزراء وأحسنهم سيرة ، وابعدهم عن الظلم » (٢٦) ، وقال ابن القطيبي : « كان ابن هبيرة عفيفاً في ولايته محموداً في وزارته كثير البر والمعروف » (٢٧) * وقال عنه ابن تغري بردي (ت ، ٨٧٤ هـ) : « صنف الكتب الحسان * * سار في الوزارة أجمل سيرة وكان ديناً جواداً كريماً » (٢٨) *

-
- (٢٢) وفيات الاعيان ، ٢٣٣/٦ .
(٢٣) الفخري في الاداب السلطانية ، ٣١٤ ، ٣١٥ .
(٢٤) دول الاسلام ، ٧٤/٢٢ ، ٧٥ ، العبر ، ١٧٣/٤ .
(٢٥) اليافعي ، مرآة الجنان ، ٣٤٥/٣ .
(٢٦) البداية والنهاية ، ٢٥٠/١٢ .
(٢٧) ذيل طبقات الحنابلة ، ٢٧٤/٣ .
(٢٨) النجوم الزاهرة ، ٣٦٩/٩٥ .

مما تقدم يتبين لنا ان الوزير ابن هبيرة كان شخصية مرموقة كفءاً ، لا تقل اهميته وكفاءته عن الخليفة ، فكلاهما من الشخصيات الطموحة والنايبة في الميدان السياسي والعسكري بل وحتى العلمي ، وبذلك تمكن من ان يعيد للخلافة العباسية وللعراق هيبتهما وكرامتهما من تغلب السلاجقة الذين سيطروا على الوضع ردحا من الزمان ، وكان كلاهما من القادة العسكريين الجيدين ، قال ابن دحية : « وخرج الخليفة يقاتل من ناوءه ويقاتل من عاداه ، وقد هزم غير واحد ، ودفع بنفسه ، وكذلك وزيره ابن هبيرة حمل على الاعداء عدة حملات » (٢٩) * وبتقليد المقتفي لابن هبيرة الوزارة تبدأ مرحلة جديدة وجدية في تاريخ نضال الخلافة العباسية ممثلة بشخصيتيهما الفذتين واخلاصهما في عملهما، وتبدو ثمرات هذا النضال بتحقيق انتصارها في الميدان السياسي والعسكري على اعداء الخلافة ومن ثم اعادة الهيبة لها ، وتحرير العراق من سيطرة المتغلبين عليه .

(٢٩) ابن دحية الكلبي ، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس (بغداد ، ١٩٤٦) ، ١٥٧ .

الفصل الخامس

الازمات الداخلية ودور الخليفة في القضاء عليها

شهد العراق في عهد الخليفة المقتفي لأمر الله الكثير من الازمات الاجتماعية والسياسية والعسكرية والتي كانت نتيجة متوقعة للغزو السلجوقي ، كما كان للظروف والاضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بل والطبيعية نصيبا منها ، واسهمت تلك الاحداث في علو مكانة الخليفة من خلال معالجته لها ، بل وزادت في علو مكانته في نظر المؤرخين ، للدور الفاعل الذي ظهر به في مواجهة الازمات والتغلب عليها ، في بغداد خاصة ، والعراق عامة ، وسنتطرق الى جملة من الازمات الداخلية التي عاشتها الخلافة وكيفية معالجتها من قبل الخليفة ورجال دولته ، فقد اظهر الخليفة المقتفي لأمر الله منذ البداية حزمًا وعزمًا على مواجهة السلاجقة ، فبعد سنة فقط من توليه الخلافة ، وبالذات في عام ٥٣١هـ / ١١٣٦م ، اعيدت بلاد الخليفة معاملاتها اليه ٥٣١هـ / ١١٣٦م ، اعيدت بلاد الخليفة معاملاتها اليه ، والتركات واستقر عن ذلك عشرة الاف

دينار(١) . وفي العام التالي ٥٣١هـ / ١١٣٦م ، امر
الخليفة باعدام عشرة عيارين مفسدين جيء بهم
فصلبوا في الاسواق وصلب رجل آخر كان قد لكم
صبيا فمات(٢) .

وكان الشحنة السلجوقي في عام ٥٣١هـ /
١١٣٦م نفسه قد قتل صبياً ، فصلب الشحنة عقوبة
على جريمته (٣) ، وبدأ الخليفة يتخذ عدة اجراءات
تؤكد قوة شخصيته وعزم ارادته ، ففي عام ٥٣٣هـ /
١١٣٨م طرد الخليفة الكتاب من اهل الذمة من
الديوان والمخزن (٤) .

كما شهدت بغداد في عهد المقتفي جملة من
الاحداث الاجتماعية ، بسبب اعتماد السلاجقة
سياسة « فرق تسد » بين فئات المجتمع العراقي ،
وتقوية النعرات الطائفية بين ابنائه للسيطرة عليه
من خلالها ، فقد حدثت فتنة ببغداد في عام ٥٣٠هـ /
١١٣٥م بين اهل باب الازج وبين اهل المأمونية ،
حيث قتل عدد كبير من الجانبين (٥) ، وفي عام
٥٣٦هـ / ١١٤١م حدث تمرد قبلي ضد الخلافة ،
الا ان قوات الخلافة تمكنت من القضاء على التمرد
واعادة الامن ، على ان اكبر الازمات الاجتماعية

(١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ / ٦٨-٦٩ .

(٢) نفسه ، ١٠ / ٧٢ .

(٣) نفسه ، ١٠ / ٧٢ .

خطورة هي حركات العيارين والشطار التي حدثت في ٥٣٠ هـ ، حيث هاجم العيارون ببغداد محلات الناس ونهبوها ، وحاول مسؤول الامن السلجوقي «الشحنة» التدخل في الامر ، حينما هاجموا دار الرقيق ، فثار عليه اهل المحال القريبة ، فقاتلهم وأحرق الشارع ، فاحترق فيه عدد كبير من الناس فأضطرب الناس الى الانتقال الى الحريم الطاهري ، فدخل الشحنة ونهب منه مالا كثيرا (٦) . وعلى اثر هذه الاحداث عزل مجاهد الدين بهروز عن شحنة بغداد .

ويبدو ان هذه الحركات الاجتماعية كانت بمثابة ردود الفعل الشديدة من قبل الناس عامة والعيارين نتيجة فقدان الامن في عهد مسعود السلجوقي على بغداد ، وحينما دخل مسعود السلجوقي بغداد سنة ٥٣٦ هـ ورأى نفوذ العيارين فيها اعاد بهروز الى الشحنة ، قال ابن الاثير « ان ولد الوزير وأخا امرأة السلطان كانا يقاسمان العيارين » (٧) ، وبطبيعة الحال ان الوزير هو وزير المتسلط السلجوقي وليس وزير الخليفة العباسي ، ولذا فان

(٤) نفسه ، ٧٨/١٠ .

(٥) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ٤٦/١١ .

(٦) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ٤٥/١١ .

(٧) نفسه ، ٨٩/١١ .

هذا النص يكشف لنا اثر بعض السلاجقة في خلق بعض الاحداث الاجتماعية من اجل تحقيق مكاسب مادية ، ومن اجل تمزيق وحدة المجتمع العراقي ، على ان ابرز حركات العيارين في عهد المقتفي كان في عام ٥٣٨ هـ ، ويعمل ابن الاثير اتساع هذه الحركة بانه كان « . . . بسبب ابن الوزير وابن تاورت أخي زوجة السلطان لانهما كان لهما نصيب في الذي يأخذه العيارون » (٨) .

وعلق ابن الجوزي على فساد العيارين في سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م بقوله : « قدم مسعود السلجوقي فنزل اصحابه في دور الناس وتضاعف فساد العيارين بدخوله ، وكثرت الكبسات والاستسقاء نهارا ، ونقل الناس رحالهم الى دار الخلافة وباب المراتب ، وكان اللصوص يمشون بثياب التجار في النهار ، فلا يعرفهم الانسان حتى يأخذوه فأخذت طرق الصيارف وضائق المعاش ، وكان للعيارين عيون على الناس من النساء والرجال يطوفون الخانات والرحبة والصيارف والجوهريين ، فاذا عاينوا من قد باع شيئاً تبعوه وأخذوا ما معه وكان يجتمعون في دور الدين يحمونهم في دار وزير السلطان السلجوقي ودار ميرنقش . . » (٩) .

(٨) نفسه ، ٩٥ / ١١ .

(٩) المنتظم ، ١٠٦ / ١٠ .

وكان نائب الشحنة ايلدكن شديدا
وصارما فأخبر مسعودا السلجوقي بحقيقة
الوضع حينما اتهمه مسعود بالتقصير
امام العيارين ، فأجاب به « يا سلطان العالم
اذا كان عقيد العيارين ولد وزيرك واخا امراتك فأبي
قدرة على المفسدين » (١٠) فامر مسعود باعدامهما
وفعلوا تم اعدام ابن قارون في حين هرب ابن وزيره
واكثر العيارين (١١) .

ويبدو ان عامة الناس كانوا يعلمون بحقيقة
ابن الوزير وأخي زوجة مسعود ، ويبدو ان خشية
مسعود من هياج عامة الناس في بغداد جعلته يصدر
امره باعدام هؤلاء * ويلاحظ ان مسعودا
السلجوقي كان هو صاحب النفوذ في السلطة ،
وما يزال المقتفي في بداية صراعه مع هؤلاء
المتغلبين .

ونتيجة لهذه العوامل وغيرها فانه حدثت عدة
حرائق في بغداد ، لعل من اخطرها الحريق الكبير
الذي حدث سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م حينما احترق
القصر الذي بناه الخليفة المسترشد ، وكان في غاية
الحسن ، وقد انتقل الخليفة المقتفي بجواريه وحظاياه
اليه ليقوم في ثلاثة ايام ، فما ان ناموا حتى

(١٠) ابن الاثير ، الكامل ، ٩٥/١١ .

(١١) نفسه ، ٩٥/١١ .

احترق عليهم القصر (١٢) ، ويعمل ابن حنبل ، حريق
بان جارية كانت تحمل شمعة وادت الى احتراق بعض
جوانب القصر ، وعند الصباح تصدق الخليفة على
الناس واطلق عددا من المسجونين مقابل سلامته من
الحريق (١٣) ، وربما كان للعناصر المعادية للخلافة
يد في ذلك ، وفي عام ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م احترقت بغداد ،
واحترق درب براكا ، ودرب الدواب ، ودرب اللبان ،
وخرابة ابن حنبل ، والظفرية والخاتونية ، ودار
الخلافة ، وباب الازج ، وسوق السلطان ، وغير
ذلك (١٤) .

ونتيجة لاضطراب الاوضاع الداخلية ، فقد
اهملت مشاريع الري ، واهملت السدود والقناطر
التي كانت تنشأ لمجابهة خطر الفيضان نتيجة لعدم
وجود استقرار داخلي ، وادى هذا الاهمال الى تعرض
العراق عامة وبغداد بخاصة الى فيضانات عديدة ادت
الى الحاق ضرر كبير بالاقتصاد ، وبالحالة الصحية
والاجتماعية للسكان ، ففي عام ٥٤٦ م / ١١٥١ م
انفجر بئق النهر وان نتيجة لزيادة مناسيب المياه
واهمل الري ، حتى ادى هذا الى الحاق ضرر كبير
بالناس (١٥) ، على ان اخطر الفيضانات التي شهدتها

(١٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٢٠ / ١٢ .

(١٣) نفسه ، ٢٢٠ / ١٢ .

(١٤) ابن الاثير ، الكامل ، ٢١٦ / ١١ .

(١٥) ابن الاثير ، الكامل ، ١٥٧ / ١١ .

المراق كان في عام ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م ، في الوقت الذي عاد فيه الخليفة المقتضي الى بغداد بعد ان كان يقوم بزيارة تفقدية الى واسط ، مما ادى الى غرق بغداد (١٦) ، بعد أن زادت دجلة زيادة عظيمة ودخل الماء الى بغداد وخندقها فوق بعض سورها ، واخذ الناس يعبرون الى الجانب الغربي قبلفت المعبرة عدة دنائير ولم يكن يقدر عليها البعض ، فكثر الخراب ، وبقيت المحال لا تعرف انما هي تلول ، ومن المناطق التي غرقت في الجانب الشرقي ، قراح ظفر ، والاجمة ، والمختارة ، والمقتدية ، ودرب العيار ، وخرابة ابن جردة ، والريانة ، وقراح القاضي ، وبعض القطيعة ، وبعض باب الازج ، وبعض الحانوتية ، وقراح ابي الشحم ، وبعض قراح ابن رزين ، وبعض الظفرية ، واما الجانب الغربي فغرقت فيه مقبرة الامام احمد بن حنبل وغيرها من المقابر ، وانخسفت القبور المبنية « وخرج الموتى على رأس الماء » وكذلك المشهد والحربية « وكان امراً عظيماً » (١٧) - يقول ابن الجوزي « وجئنا الى دارنا بدرب القياد بعد ايام والدنيا كأنها بطيحة فلم نعرف درب القياد الا بمنارة المسجد ، وكان الماء يقرب من الحائط فيقع ، وكان كأنه سخط من الله عز وجل

(١٦) البنداري ، المصدر السابق ، ٢٢٦ .

(١٧) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ٢٤٨/١١ .

لكثرة الذنوب» (١٨) ويعد هذا الفيضان أسوأ كارثة طبيعية تعرضت لها بغداد في عهد الخليفة المقتفي لأمر الله .

وابتداءً من سنة ٥١٣ هـ / ١١٣٨ م ، اراد الخليفة اصلاح مشاريع الري في العراق ، ففي ذات العام فرغ من حفر نهر دجيل (١٩) ، وفي عام ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م بدأ الشحنة بهروز وبأمر المقتفي بعمل سكر النهروانات فبناه دفعتين ، وهو يتفجر ثم استحكم في الثالثة ، وما زال يعمل عليه الى ان مات في سنة ٥٤٠ هـ . وتم في عام ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م عمل بثق النهروان ، وروي انه انفق على سكر النهروانات سبعين الف دينار (٢١) ، وفي سنة ٥٥١ هـ ، خرج الخليفة بنفسه الى ناحية الدجيل ، وكان قد تولى حفر نهر الدجيل وعاد بعد ان تفقد العمل فيها (٢٢) ، وفي العام ٥٥٢ هـ خرج الخليفة فنزل باوانا ، وقصد قم الدجيل ، وكان الحفر فيه متواصلاً ثم عاد وقصد نهر الملك ورحل (٢٣) ، ثم كرر زيارته التفقدية لمشروع الدجيل حيث عاد اليها في شعبان

(١٨) ابن الجوزي ، اهل الاثر في عيون التواريخ والسير (القاهرة ، ١٩٧٥) ، ٩٥-٩٦ .

(٢٠) نفسه ، ٨٤/١٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٣٦٨/٨ .

(٢١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٩٥/١٠ .

(٢٥) نفسه ، ١٦٥/١٠ .

(٢٣) نفسه ، ١٧٦/١٠ .

سنة ٥٥٣ هـ ، فاقام بها اياما ثم عاد الى بغداد (٢٤) .
كما ان الزلزال كان له نصيب في هذه المرحلة
الصعبة من تاريخ العراق ، فقد اصاب مناطق مختلفة
من العراق فخرّب كثيرا منها ، وهلك تحت الهدم عالم
كثير (٢٥) ، وذلك في سنة ٥٣٢ هـ ، وادى هذا الى
الفلاء وانعدام الاقوات بالعراق (٢٦) ، فضلا عن
وجود موجات الجراد الصحراوي ، الذي هاجم العراق
سنة ٥٤١ هـ ، يقول ابن الاثير : « كان بالعراق جراد
كثير أمحل اكثر البلاد (٢٧) » ، وادى هذا الى غلاء
الاسعار بالعراق وبخاصة في سنة ٥٤٣ هـ ، حينما
« تعذرت الاقوات وقدم اهل السواد الى بغداد
منهزمين قد اخذت اموالهم وهلكوا جوعا وعريا » (٢٨)
ركشّرت الاوبئة حيث انتشرت الامراض بالعراق
ولا سيما في بغداد وكثر الموت فيها (٢٩) ، وكان
ذلك في عام ٥٣١ هـ (٣٠) وعام ٥٤٥ هـ (٣١) ، فضلا عن
ذلك نجد ان السلاجقة كانوا يلعبون ادوارا سيئة في
الحاق الضرر بالعراق وأهله ، ولتعقيد الوضع
الداخلي فيه ، ففي عام ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م ، عادت

(٢٤) نفسه ، ١٨١/١٠ .

(٢٥) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ٦٦/١١ .

(٢٦) نفسه ، ٧٧/١١ .

(٢٧) نفسه ، ١١٨/١١ .

(٢٨) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ١٣٧/١١ .

(٢٩) نفسه ، ١٥٢/١١ .

(٣٠) نفسه ، ٥٤/١١ .

الجبايات السلجوقية مرة اخرى وضاق بها الناس
 عنفا وشدة ظلم (٣٢) ، وفي سنة ٥٣٦هـ / ١١٤١م
 هاجم اتابك زنكي بن آقسنقر مدينة الحديثة ورتب
 اصحابه فيها ، وظلم اهلها (٣٣) ، وعندما هاجم
 السلاجقة العراق سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٨م ، نهبوا حوالي
 البلد وأخذوا غلات الناس ، وخرجوا الى الدجيل ،
 واخذوا نساء الناس وبناتهم ، وجاءوا بهن الى
 النخيم ، وقال القزويني الواعظ : « لو جاء الافرنج
 لم يفعلوا هذا !! اي ذنب لاهل القرى
 والرساتيق ؟ » (٣٤) ثم وقع الفلاء والقحط (٣٥) ،
 فضلا عن ذلك فان السلاجقة كانوا يأخذون الرشاوي*
 فيروى ان ابا العناء يحيى بن سعيد المعروف بابن
 الرحم القاضي ، كان يئس الحاكم يأخذ الرشا ويبطل
 الحقوق وتزايدت الاسعار حتى بلغ الكر (٣٦) الشعير
 سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧م ، اربعين دينارا ، والحنطة
 ثمانين دينارا ، فنأدى الشحنة ان لا يباع الكر

(٣١) نفسه ، ١١ / ١٥٢ .

(٣٢) المنتظم ، ١٠ / ٦٩ .

(٣٣) الكامل ، ٩ / ٥ .

(٣٤) المنتظم ، ١٠ / ١٣٢ .

(٣٥) المنتظم ، ١٠ / ١٣٤ .

(٣٦) الكر : وحدة مكيال = ٢٩٢٥ كغم للقمح ، و ٢٤٣٧ كغم

للشعير منتس ، الاوزان والمكاييل ، ترجمة كامل العسلي

(عمان ، ١٩٧٠) ص ٧٠ .

الدقيق الا بدينار ، فهرب الناس وغلقوا الدكاكين
وعدم الخبز أربعة ايام ، فبقي الأمر كذلك اشهرًا ثم
تراخى السعر (٣٧) .

ولقد اهتم المقتضي باصلاح الامور الاقتصادية
للعراق ، ومواجهة ما لحق بالناس من ظلم وتعسف
السلاجقة ، حيث امر الخليفة سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٧م
بازالة المواشير والمكوس ونقشت اللواح بذلك (٣٨) ،
وفي العام التالي ٥٣٣هـ / ١١٣٨م رفع المكوس
والضرائب (٣٩) ، وكذلك في العام ٥٤١هـ / ١١٤٦م ،
حيث طيف بالالواح التي نقش عليها ترك المكس في
الأسواق (٤٠) ، وكذلك في سنة ٥٤٥هـ / ١١٥٠م ،
التي أسقط المكس فيها (٤١) .

وكانت الخلافة تسعى جاهدة لمعالجة تلك
الازمات ، فعلى اثر ارتفاع الاسعار وغلائها في
العراق عام ٥٤٣هـ نجد أنه في السنة التي تلتها
مباشرة وبعد اجراءات سليمة اتخذتها الخلافة
رخصت الاسعار في العراق ، وكثرت الخيرات ،
وخرج اهل السواد الى قراهم (٤٢) ، كما ان الخليفة

(٣٧) المنتظم ، ١٢٥/١٠ .

(٣٨) نفسه ، ٧٨/١٠ .

(٣٩) نفسه ، ٧٩-٧٨/١٠ .

(٤٠) نفسه ، ١٢٠/١٠ .

(٤١) نفسه ، ١٤٣/١٠ .

(٤٢) ابن الاثير ، الكامل ، ١٤٦/١١ .

ووزيره ابن هبيرة كانا يحاولان معالجة الأزمة
المعيشية للسكان من خلال المساعدات التي كانت
تمنح للفقراء بصفة خاصة ، وفي مناسبات عديدة ،
فوجد أن الخليفة المقتفي « اطلق للفقراء مالا
كثيرا » (٤٣) ، بخاصة في الاماكن التي تعرضت لاذى
السلاجة ابان حصارهم لبغداد في عهد محمد
السلجوقي ، كما ان الوزير ابن هبيرة ، أنفق خمسة
الاف دينار ، بعضها للصدقة وبعضها في قضاء ديون
اهل الحبوس وغيرهم (٤٤) . كما انه في عام ٥٥٢ هـ ،
انفق الوزير ابن هبيرة ما يقارب ثلاثة الاف دينار
على موائد الافطار طول شهر رمضان « وخلق على
المفطرين الخلع السنية » (٤٥) وذلك في العيد ، وفي
عام ٥٥٤ هـ ، لما مرض الخليفة المقتفي لامر الله
فرقت الصدقات وذبح كل واحد من ارباب الدولة من
البقر وفرقت الكسوة على الفقراء ،
ورغم ان هذه المساعدات كانت محدودة ، الا انها
اسهمت بعض الشيء في التخفيف مما كان يعاني منه
العديد من الفقراء والمساكين نتيجة لاوضاع سابقة
وبذلك يمكن للقارىء انيلمس ، مدى كثرة المشكلات
والالزمات الداخلية ، فضلا عن كثرة المشكلات

(٤٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٧٦/١٠ .

(٤٤) نفسه ، ١٨٩/١٠ .

(٤٥) نفسه ، ١٨١/١٠ .

السياسية والاحداث العسكرية التي واجهت الخليفة .
ويبدو ان اغلب الازمات الداخلية قد حدثت في
السنوات الاولى لحكم المقتفي ، ثم اخذت في التناقص
تدريجيا مع ازدياد كفاح ونضال الخليفة ، ضد
مصادر تلك الاضطرابات ومسببيها ، ومن بين
العوامل التي اسهمت في حل هذه المشكلات والتعرف
على مسببيها منذ البداية كثرة الزيارات التفقدية
التي قام بها الخليفة المقتفي لعدد من مدن العراق لكي
يكون قريبا من الاحداث وليطلع بنفسه عن قرب على
اوضاع العراق ومدنه .

الفصل السادس

**الزيارات التفقدية التي قام بها المفتي لأمم الله لمن العراق
وعنايته بالحركة الفكرية**

الزيارات التفقدية التي قام بها الخليفة المقتفي لأمر الله لمدن العراق

قام الخليفة المقتفي لأمر الله بعدة زيارات تفقدية لعدد من مدن وقرى العراق ، وذلك للتعرف على اوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وليطلع بنفسه على احوالها وظروفها ، وكانت زيارته متكررة ومتمتدة ، وان أول الزيارات التفقدية للخليفة المقتفي قيامه بزيارة تفقدية لمشروع قناة الدجيل ، حيث خرج الى ناحية الدجيل ، وكان قد تولى حفره صاحب ديوانه ابن جعفر ، وذلك في عام ٥٥١هـ (١) ، وفي سنة ٥٥٢هـ ، تكررت زيارته للدجيل ، ثم في عام ٥٥٣هـ التي اقام بها أياما ثم عاد الى بغداد ، وكان في زيارته هذه يتفقد مشروع قناة الدجيل وما انجز من امر حفرها (٢) ، كما شهدت مدينة الأنبار ، زيارات متعددة ومتكررة من قبل الخليفة نتيجة لموقعها المهم في المناطق الغربية من العراق ، وعلى اطراف الصحراء ، وكان ابرز زياراته لها في سنة ٥٥١هـ ، حيث سار في أسواقها ودروبها متفقدا لحوالها (٣) ، وعاد الى

(١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٦٥/١٠ .

(٢) نفسه ، ١٧٦/١٠ ، ١٨١ .

(٣) نفسه ، ١٦٥/١٠ .

زيارتها ثانية عام ٥٥٣هـ (٤) ، ومن الأنبار اتجه الى مدينة كربلاء متفقدا احوالها ، وزار قبر الحسين بن علي رضي الله عنه (٥) ، وفي عام ٥٥٥هـ اتجه الخليفة الى مدينة هيت ، وكان مقطوعا نور الدولة بن الامير العميد وبعد أن تفقدها عاد الى بغداد (٦) ، وفي سنة ٥٥٠هـ خرج الخليفة من بغداد حين خروج الحجاج فسار معهم الى النجف ودخل جامع الكوفة واجتاز في سوقها وعاد الى بغداد (٧) ، وتعد مدينة واسط من المدن التي اكثر من زيارتها ، وذلك للتأكد من وضعها الامني بسبب أهميتها الاستراتيجية نتيجة لموقعها القريب من الاراضي الايرانية ، حيث يوجد اعداء الخلافة من السلاجقة ، لذلك فقد زارها سنة ٥٥٣هـ ، ودخل في سوقها متفقدا احوالها وعاد الى بغداد (٨) ، وقام بزيارة اخرى لواسط سنة ٥٥٤هـ واجتاز بسوقها وتفقد جامعها (٩) ، ويتطرق البنداري الى زيارة الخليفة هذه فيقول : « .. وأنا نائب الوزير ابن هبيرة بها وخرجت في أصحابي للتلقي وكنت في زحمة اللقاء على غاية التوقي ،

(٤) نفسه ، ١٨١/١٠ .

(٥) نفسه ، ١٨١/١٠ .

(٦) البنداري ، المصدر السابق ، ٢٦٧ .

(٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٦١/١٠ .

(٨) نفسه ، ١٨١/١٠ .

(٩) نفسه ، ١٨٩/١٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٤٠/١٢ .

فبصرت بموكب الخليفة ، وقد أقبل في افواجه ،
كانه البحر في امواجه ، فنزلت وتقدمت اليه ،
وقبلت الأرض بين يديه ، فوقف الركب اشفاقا عليّ
من الزحمة ، وكانت رآفته مجبولة على الرأفه
والهمة ، وقال له مخلص الدين ابن الكيا الهراسي ،
هذا الذي يقول في امير المؤمنين من قصيدته كان
يصف هذه الحالة (١٠) :

لما استشفعت العزم وهو مؤيد
بالحزم أسفر بالمني منك السفر
وبرزت مثل الشمس تشرق للورى
وسنأك يحجب عنك ناظراً من نظر
بمظلة سوداء تحكي هالة
وجه الامام يضيء فيها كالقمر

وبعد ذلك عرفه الوزير بالخليفة ورحب به ،
ثم اتجه المقتفي الى دار الديوان بالمدينة ، وجلس
ساعة في ايوانه ، وأطلع الخليفة ووزيره على بعض
المعاملات في ديوان واسط ثم انصرف الى سرادقه
والوزير الى مضاربه ، ونزل رجال الدولة كل منهم
على مرتبته (١١) ، ويصف البنداري مجلسا للخليفة

(١٠) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ٢٦٦ .

(١١) نفسه ، ٢٦٦ .

بمدينة واسط فيقول : « ... » وحضرت بميدان
واسط والمقتفي رضي الله عنه حاضرا ومعه اولاده
وولي العهد المستنجد يوسف وابو علي وابو أحمد
وولده المستنجد أبو محمد المستضيء الذي تولى بعده ،
ولعبوا الكرة ، ولم يلبث بواسط ثلاثة ايام حتى عاد
الى بغداد « ... » (١٢) ، وقام المقتفي بزيارة اخرى
لواسط واتجه بعد ذلك الى الغراف وعزل عن
ولايتها ظفراً خادمه وولى عليها ابا جعفر بن البلدي ،
وقبض على ابن افلح وزير ظفر وعاقبه والزمه بما
استخرجه من دفائن ابن حماد وطالبه بها (١٣) .

لقد كان يتفقد احوال الرعية في جولاته تلك ،
ثم اتجه الى الغراف ، وبينما كان يتجول في بعض
سواقي الغراف ، زلت به فرسه في بعض الطريق
فوقع على الارض وشج جبينه بقبضة سيف الركاب ،
فانتشله مملوك من ممالك الوزير فاعتقه الوزير
وخلع عليه ، وجعل للطبيب ابن صفيه مالا لانه خاط
المكان وعاده « (١٤) » حيث كان يعرض حياته
للمخاطر من اجل راحة البلاد والعباد ، وكان التعب
قد أخذ منه مأخذا ، لانه كان دائم الحركة والتنقل

(١٢) نفسه ، ٢٦٦ .

(١٣) نفسه ، ٢٦٧ .

(١٤) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ١٨٩/١٠ .

(١٥) نفسه ، ١٧٦/١٠ .

والتجوال من اجل اسعاد رعيته ، ومن اجل ان يعيد
للخلافة مكانتها وحرمتها اللائقة بها .

كما كان الخليفة المقتفي يتفقد مناطق بغداد
واحياها ، فبعد فشل حصار محمد شاه لمدينة بغداد ،
قام الخليفة بتفقد المحلات التي تأثرت بالحصار
وأطلق للفقراء مالا كثيراً (١٥) .

تشجيع الخليفة للحركة الفكرية :

لقد اولى الخليفة ووزيره الحركة الفكرية في
البلاد اهتماما كبيراً حتى ان المقتفي « كان محباً
للحديث وسماعه معتنيا بالعلم مكرماً لاهله » (١٦) .
ويقول عنه ابن دحية : « كان محدثاً عالماً بالصحيح
والسقيم آخذاً على يد الظالم آخذاً بيد المظلوم » (١٧)
ويقول الاربلي : « كانت ايامه تزدهر بفعل الخيرات
وانشاء العلوم » (١٨) ، وكان وزيره ابن هبيرة
مشجعاً للعلم والعلماء ، حتى انه كان أحد
رجالهم (١٩) ، وله في العلوم والتصانيف على اهل
عصره (٢٠) ، وكان البنداري المؤرخ المشهور وصاحب

(١٦) العصامي المكي ، سمط النجوم العوالي ، ٣/ ٣٧٤ .

(١٧) ابن دحية الكلبي ، النبراس في تاريخ خلفاء بني
العباس ، ١٥٧ .

(١٨) خلاصة الذهب المسبوك (بيروت ١٨٨٥) ٢٧٥ .

(١٩) راجع ابن خلكان ، ٢٣١/٦ وما بعدها .

(٢٠) الفخري في الاداب السلطانية ، ٣١٤-٣١٥ .

كتاب تاريخ دولة آل سلجوق ممن نالوا الحظوة لديه
حيث عينه نائباً عنه في واسط (٢١) *

فالحياة الفكرية كان لها نصيبها من الرعاية
والتشجيع على يد المقتفي ، حتى ان وزير الخلافة ،
كان شاعراً ، وله اشعار كثيرة منها (٢٢) :

يقين الفتى يزري بحالة حرصه
فقوة ذا عن ضعف ذا تتحصل
اذا قل مال المرء قل صديقه
وقد بيع كل ما كان يحمل

وكان كل من الخليفة ووزيره يتصف
بالسماحة والخلق الحميدة (٢٣) *

(٢١) تاريخ دولة ال سلجوق ، ٢٦٦ ، *

(٢٢) ابن طباطبا ، المصدر السابق ، ٣١٤ - ٣١٥ ، *

(٢٣) نفسه ، ٣١٣ - ٣١٤ ، *

الفصل السابع

تصدي الخليفة المقتفي للسلجقة وانتصاره عليهم

ورغم الحالة الصعبة التي كان يمر بها الخليفة المقتفي، ورغم ضعف موقفه السياسي والعسكري، إلا أنه صمم بعزم واردة قوية على مجابهة السلاجقة من أجل تحرير العراق منهم ، حيث صمم على أن يبدأ بتصفية الحساب معهم منذ البداية ، ولقد روى القزويني عن وزير الخليفة قوله : « تطاول علينا مسعود بن محمود السلجوقي فعزم المقتفي أن يحاربه فقلت : هذا ليس بصواب ولا وجه لنا إلا الالتجاء إلى الله فاستصوب رأيي » (١) ، ولم تنفع محاولات الزواج السياسي في التغيير من سياسة وتعنّت السلاجقة تجاه الخلافة ، حيث أنهم ظلوا يسيرون على المنهج نفسه والاسلوب العدائي ، رغم ما حدث سنة ٥٣١هـ / ١١٣٦م ، من عقد مصاهرة للمقتفي على فاطمة بنت محمد بن ملك شاه اخت مسعود السلجوقي ، وحضر مسعود والاكابر وتولى العقد وزير الخليفة ونشرت الجواهر والكافور والعنبر (٢) ، وكان الزواج على صداق مائة ألف دينار (٣) ، وروى ابن الاثير أنه في

(١) القزويني ، آثار البلاد واخبار العباد ، (بيروت ، ١٩٦٠)
٣٦٧ .

(٢) ابن الجوزي المنتظم ج ١٠ (حيدر آباد ، ١٣٥٨) ٦٧ .

(٣) الدياربكري ، تاريخ الخميس ، ٤٠٥/٢ .

سنة ٥٣٥ هـ ، تزوج الخليفة بفاطمة خاتون بنت مسعود السلجوقي : « وكان يوم حملها الى دار الخلافة يوما مشهودا ، اغلقت بغداد عدة ايام ٠٠ » (٤) ، غير هذا النوع من الزواج السياسي كان مجرد تهدئة مصطنعة لم تحل معها مشكلات الخلافة مع السلاجقة بسبب طموح السلاجقة ورغبة المقتضي لامر الله في ممارسة سلطاته ، خاصة وان مسعود السلجوقي كان مصدرا لخلق متاعب كثيرة للخلافة بخاصة ، نتيجة علاقاته غير الطبيعية مع عدد من الامراء ، واورد ابن الجوزي أنه في سنة ٥٣٨ هـ جمع السلطان السلجوقي جيشا كبيرا قاصدا الموصل والشام ولجأ زنكي الى الاسلوب الدبلوماسي حيث تم عقد الصلح على مائة الف دينار ودفع منها ثلاثين الفا وفي رواية ان ابن الانباري خرج وقبض الاموال ، ومما لاشك فيه ان هذا الاسلوب كان يجري على حساب مصلحة الخليفة والخلافة معا . كما ان مسعودا السلجوقي كان قد خلق متاعب اخرى للخلافة ، وروى ابن الجوزي ان مسعودا السلجوقي قدم بغداد « فنزل اصحابه في دور الناس وتضاعف فساد العيارين بدخوله وكثرت الكسبات والاستقفاء نهارا ، ونقل الناس رحالهم الى دار الخلافة » (٦) ، ويلمس القارىء مدى تدهور

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ٧٧/١١ .

(٥) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ١٠٥/١١ .

(٦) نفسه ، ١٠٥/١١ - ١٠٦ .

اوضاع الخلافة والذي كان مصدرها السلاجقة انفسهم
وتسلطهم على سلطانها ، واثارة المشكلات فيها اذا
ما علمنا ان « ابن قاورت وهو ابن عم السلطان
مسعود كان في العيارين » (٧) . ولذا تهيأت ظروف
النضال الجاد للخلافة ضد السلاجقة وبخاصة وان
السلطان مسعود قبيل وفاته كان يعاني من مشكلات
عديدة حتى ان مشكلاته هذه لم تسمح له بالاستقرار
في مكان معين ، اذ انه كان يتنقل من مكان الى اخر
وذلك بسبب كثرة المخالفين والخارجين عليه من اهل
بيته وامرائه (٨) . فضلا عن ان الخليفة لم يكن
يستسلم لسيطرة المتغلبين ، فكان لابد من حصول
التنازع والخلاف بين الخليفة والسلاجقة ، وكان اول
قرار يتخذه الخليفة ضد السلاجقة هو محاولة تخلصه
من الامير مسعود السلجوقي في بغداد ، فقد روى
الراوندي ان الخليفة المقتفي لامر الله قد اتفق مع احد
موظفي الملك محمد بن مسعود السلجوقي واسمه
عباس وذلك للقبض على مسعود عند خروجه لصلاة
العيد ، ولكن حدث ان نزل سيل عظيم في يوم العيد
فلم يخرج مسعود السلجوقي للصلاة ، ففشل التدبير ،
ثم علم مسعود بذلك التدبير فقبض على العباس

(٧) نفسه ، ١٠٦/١١ .

(٨) الخصري ، محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية ، (القاهرة ،

١٣٨٢) ٤٥٠ .

وقتلته (٩) . ويمكن عد هذا الاجراء اول تصرف جريء من قبل الخليفة ضد السلاجقة للخلاص من نيرهم وجورهم (١٠) ، فضلا عن ذلك فان الخليفة المقتضي اتخذ عددا من الاجراءات التي تبين قوته ، ففي عام ٥٣١ هـ ، امر الخليفة باعدام الشحنة السلجوقي صلبا ، بسبب قتله صبيا ، وكان الناس قد ساندوا الخليفة في موقفه الصارم هذا ضد الشحنة (١١) ، وفي سنة ٥٣٤ هـ انفذ الخليفة خدما وعمالا على البلاد من غير مشاورة احد (١٢) ، و امر الخليفة سنة ٥٣٧ هـ / ١١٤٢ م ان لا يخاطب أحد بمولانا سوى الوزير ، ولا يحمل لاحد غاشية على الكتف سوى قاضي القضاة الزيني (١٣) ، واخذ وزير الخليفة يطلب من مسعود السلجوقي ان يتوسط له عند الخليفة ليرضى عنه . وكان الخليفة المقتضي كما يقول ابن الجوزي : « يعد ذنوبه ومكاتباته واساءاته و . . . فعفا عنه الخليفة » (١٤) ، الامر الذي يدل على مدى ازدياد مكانة الخليفة وهيئته ، ثم اعقب ذلك اجراءات شجاعة تحدى فيها المقتضي السلاجقة ،

(٩) راحة الصدور ، ٣٤٥ .

(١٠) الزهري ، نفوذ السلاجقة السياسي ، ١٤٧ .

(١١) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ٧٢ / ١٠ .

(١٢) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ٨٥ / ١٠ .

(١٣) نفسه ، ١٠٣ / ١٠ .

(١٤) نفسه ، ٩٦ / ١٠ .

ففي عام ٥٤١ هـ ، عندما دخل مسعود السلجوقي بغداد وعمل دارا لضرب النقود ، أمر الخليفة بالقاء القبض على الضراب ، وأمر مسعود بالقبض على صاحب الخليفة ، فاضطر الخليفة الى اصدار امر باخراج من في الجامع وغلقه وأمر بغلق المساجد فبقيت ثلاثة ايام كذلك ثم تقدموا بفتحها ولم يسلم لهم الضراب واطلق حاجب الباب (١٥) ، وتصرف الخليفة هذا يعتبر ذكيا لانه اراد ان يلجأ الى الشعب في اشارة عواطفه الدينية ضد السلاجقة الذين اضطروا للاذعان لرغبة الخليفة باطلاق سراح الحاجب ، واضطر السلطان مسعود الى مقابلة الواعظ ابن العبادي الذي وعظه وطلب اليه ان يحسن الى الرعية بالمعاملة الطيبة فاستجاب له (١٦) ، ويشكل هذا تحولا جديدا في مسار سياسة السلاجقة التي بدأت باللجوء الى الاساليب الدبلوماسية للحفاظ على نفوذهم والتجرد عن اسلوب العنف والعسوة الظاهرة في السابق ، ثم أمر الخليفة باطلاق سراح المحبوسين وتصدق بعدة اشياء في سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م نفسها (١٧) ، وبدأت الخلافة والناس يشعرون

(١٥) نفسه ، ١١٩/١١ .

(١٦) ابن الجوزي ، ، ١٢٠/١١ .

(١٧) نفسه ، ١١٩/١٠ .

بالطمأنينة ، اضعف الى ذلك ان مسعودا السلجوقي بدأ يشعر بالضعف نتيجة لعلاقاته غير الجيدة مع الامراء ، ففي عام ٥٤٣ هـ ، وردت الانباء بخروج الامراء عليه وقادوا المعارضة فهاجموا شهربان (١٨) ، فهرب الناس منهم حتى شحنة مسعود في بغداد الذي هرب الى قلعة تكريت وقطع الجسر ، وحاول الخليفة المقتضي اقناعهم الا انهم اصرروا على موقفهم قائلين : « جئنا لنصلح أمرنا مع السلطان » (١٩) ، ثم طلبوا من الخليفة مبلغ ثلاثين الف دينار ليرحلوا عن بغداد ، واستشار الخليفة رجاله الذين اشاروا عليه بتسليمهم المبالغ الا صاحب ديوانه ابن هبيرة الذي اشار عليه بضرورة انفاق هذا المبلغ على الجيش حتى يتمكن من دفع خطرهم وقال للخليفة : « هؤلاء خرجوا عليك وعلى السلطان ، وجاهرُوا بالعصيان » وانفق ما عزمت على بذله لهم في عسكر يقاومهم ويدفع شرمهم » (٢٠) فوافق الخليفة على ذلك ، ولما قرب السلاجقة من بغداد ، نقل اهل بغداد رحالهم ، ثم ارسل الخليفة رسولا الى السلاجقة وقال لهم على لسان الخليفة : « في اي شيء جئتم » وما مقصودكم ؟ فان الناس قد انزعجوا بسبب مجيئكم !

-
- (١٨) شهربان : من مدن العراق التي تقع في جهاته الشرقية .
(١٩) ابن الجوزي ، نفسه ، ١٣١/١٠ - ١٣٢ .
(٢٠) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ٢٠٣ .

فقالوا نحن عبيد هذه العتبة الشريفة * * * » فوصلوا نواحي بغداد ، فوجد الخليفة العسكر واظهر السراذقات والخيم وحفر الخنادق وسد العقود والعسكر السلجوقي ينهبون حوالي البلد ، يأخذون غلات الناس ، فخرج صبيان بغداد يقاتلون بالمبارزة الصوف والمقاليع وقال الغزنوي الواعظ يصف همجية السلاجقة بقوله : « لو جاء الافرنج لم يفعلوا هذا ، أي ذنب لأهل القرى والرساتيق * * * » وقبض الخليفة على وزيره ابن صدقة ، وعلى الوزير ابي نصر بن جهير ، اللذين أشارا عليه بدفع مبالغ للسلاجقة ، وفي ١٨ جمادى الاولى جلس الخليفة المقتفي في منظره الحلبة واستعرض العسكر ، وحفرت الخنادق ببغداد ، ونودي بلبس العوام السلاح ، وان يمنعوا انفسهم واموالهم ؛ وفي ٦ جمادى الاخرة بعث الخليفة ليلا فغلق الباب الحديد من عقد السور مما يلي جامع السلطان ، وبنوا خلفه وسدوه سدا قاطعا ، وبعث الامير السلجوقي الى الخليفة قائلا : « لأي شيء سدتم في وجوهنا * * * فلم يلتفت الى قوله * * * » ودارت رحى معركة عنيفة ، كان الخليفة يقود الجيش بنفسه ، واتصلت الحرب وكان القتال تحت مدرسة قمرية وقتل جماعة من الفريقين ، ثم ارسل الامراء الى الخليفة فاعتذروا فلم يقبل عذرهم ، فاقاموا الى

الليل ، وقالوا : « نحن قيام على رؤوسنا ما نبرح او يأذن لنا أمير المؤمنين ويعفو عن جرمنا » (٢١) ، ووفق جيش الخلافة في اول تجربة للنضال ضد المتغلبين ، وكان لهذا الانتصار أثره في ارتفاع منزلة ابن هبيرة عند الخليفة ، الذي رقيه من صاحب ديوان الى وزير وخلع عليه سنة ٥٤٣ هـ (٢٢) ويعتبر هذا الانتصار العسكري لجيش الخلافة بداية حقيقية لزوال نفوذ الدولة السلجوقية وانهارها ، واعادة هبة وسلطان

(٢١) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ١٠/١٣٢-١٣٣ .

(٢٢) وكان ابو القاسم هبة الله بن الفضل البغدادي طبيباً فاضلاً ، وكان معاصراً للحيص بيص وخرجا من جملة عسكر الخليفة فقال هبة الله في الفضل قصيدة منها :-
في العسكر المنصور نحن عصاة

مرذولة احسن بنا من معشر
خذ عقلنا من فعلنا في ما ترى

من خسة ورقاعة وتهور
تكريت يعجزنا ونحسن نجهلها

نمضي لتأخذ مترفداً من سنجر
الحيص بيص مبارز بقنانه

وانا طبيب العسكر
هذاك لاتخشى لقتل بعوضة

وانا فلا ارعى لزاء مدبر
اجري بمدفعي الدماء وسيفه

في الغمد لم يعرض لظفر الخنصر
(الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ، ١٢٠-١٢١) .

الخلافة على العراق ، كما ان دور مسعود الساجوقي في الاحداث تلاشى ولم تتطرق لذكره المصادر بسبب قوة نفوذ الخليفة وسلطانه في تزعمه النضال ضد السلاجقة بشكل عام ، وامر الخليفة باصلاح ما ثلم من السور ، وحفر الخندق ، فغادر الامراء السلاجقة بغداد « (٢٣) ، ثم بدأ الخليفة بالعمل على تكوين جيش نظامي للخلافة ، وتمكن من تكوين جيش مدرب بحيث استعرض في سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٨م افراد ذلك الجيش ، كما امر بحفر الخنادق استعدادا للطوارىء (٢٤) ، وأشار ابن القلانسي الى الخطوات التي اتبعها الخليفة المقتفي لامر الله لتقوية مركز الخلافة من الناحية العسكرية حيث قال : « خرج امر الخلافة في سنة ٥٤٣هـ بالشروع في عمارة سور بغداد ، وحفر الخنادق وتحصينها ، والزام الأمائل والتناء والتجار واعيان الرعايا القيام بما ينفق على العمارات من اموالهم على سبيل القرض والمعونة » (٢٥) ، وذكر السيوطي (ت ، ٩١١) ، معلقا على اجراءات الخليفة المقتفي العسكرية واستعداداته لمواجهة السلاجقة ، حيث اشار الى ان سنة ٥٤٣هـ /

(٢٣) ابن الجوزي ، نفسه ، ١٣٣/١٠ .

(٢٤) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ١٣٣/١٠ .

(٢٥) ذيل تاريخ دمشق ، ٣٠٢ .

١١٤٨م كانت البداية لانتعاش الخلافة العباسية ، وكان ذلك نتيجة لعجز مسعود السلجوقي عن اخضاع بعض امراء الولايات الذين ثاروا عليه ، فأتاح ذلك الفرصة للخليفة المقتضي لامر الله لاصلاح اوضاع الدولة (٢٦) ، ويبدو ان السلاجقة فوجئوا بقوة المقتضي هذه وشككوا بحقيقة هذا الانتصار العظيم الذي حققته قوات الخلافة ، فعادوا في عام ٥٤٤هـ بقيادة نائب الشحنة وعسكروا على بعد ثلاثة فراسخ من بغداد ، وبعثوا الى الخليفة طالبين اليه ان تكون الخطبة للملك شاه فرفض طلبهم بحزم ، وامر بجمع الجيش وحفر الخنادق واستعدت بغداد لمجابهة المتغلبين ، قال ابن الجوزي : « ودوّن الخليفة وجمع العسكر وحفر بقية الخندق » ، ولما لم يجدوا سبيلا للفساد والعبث انسحبوا من مواقعهم (٢٧) ، وبدأت الشكوك تساور مسعوداً السلجوقي من التحول الجديد في ميزان القوى السياسية والعسكرية ، لذا قرر زيارة الخليفة في بغداد فخرج اليه ابن هبيرة ورجال الدولة « وجلس لهم وطيب قلوبهم فرجعوا مسرورين » (٢٨) ، كما انه اكرم وزير الخلافة وارباب

(٢٦) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ١٧٦ .

(٢٧) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ١٣٧/١٠ - ١٣٨ .

(٢٨) نفسه ، ١٣٨/١٠ .

الدولة لما زار بغداد في سنة ٥٤٦ هـ (٢٩) ، ويبدو أن مسعودا السلجوقي بدأ يشعر بدور ونفوذ الوزير في الدولة وبدأ يظهر لوزير الخليفة الاحترام والتقدير في الوقت الذي لم يكن لوزير الخليفة سابقا مكانة تذكر وكأنه كاتباً للخليفة ، وليس وزيرا صاحب رأي ونفوذ ، وهذا الاحترام يظهر مدى احترام وتقدير مسعود السلجوقي لشخصية الخليفة المقتفي لامر الله الذي قال عنه في وقت سابق ، « . . . لقد اجلسنا في الخلافة رجلا عظيما فالله تعالى يكفيننا شره » (٣٠) .

وعاد خطر السلاجقة على العراق مرة اخرى وتمكن السلار كرد من الاستيلاء على الحلة وكتب الى مسعود والشحنة وهو بتكريت فلحقا به ثم غدر به فاغرقه ، وأشار ابن الجوزي الى ان الخليفة المقتفي جهز جيشا قوامه ثلاثة الاف مقاتل لتتبعهم ، وقاد الوزير ابن هبيرة قوة عسكرية واتجها صوب الحلة ، فهرب الشحنة ودخلت قوات الخلافة العباسية الى مدينة الحلة وحررتها بعد ان طردت منها من بقي من اتباع السلاجقة (٣١) ، وهذا اول انتصار عسكري

(٢٩) نفسه ، ١٤٥/١٠ .

(٣٠) ابن طباطبا ، ٣١٠ .

(٣١) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ١٤٨/١١ .

تحققه جيوش الخلافة على جيوش اعدائها المتغلبين خارج مدينة بغداد . واتجهت فلول السلاجقة المنهزمة نحو واسط وتمركزت بها فتبعتهم قوات الخلافة بقيادة الخليفة ووزيره وحاصروا واسط من النهر ومن البر وتمكنوا من تحرير مدينة واسط من سيطرة المتغلبين عليها وهرب الطرنتاوي خطليرس الى الشحنةكية بواسط ومنها الى الحلة والكوفة (٣٢) . وعادت قوات الخلافة المنتصرة الى بغداد ، واقيمت احتفالات واسعة بمناسبة تحقيق الانتصار على المتغلبين ، واصبح للخلافة مكانة مرموقة ومحترمة في نفوس الناس مما ساعد على تنويع نضالها بالنصر ضد الطامعين والمتغلبين على سلطانها من السلاجقة وغيرهم ، وكانت قوات الخلافة تردع بعنف كل من يحاول تعكير صفو الامن في العراق ولقد أدت قوة الخلافة هذه الى احداث انقسام في صفوف السلاجقة مما ادى الى انقسامهم على انفسهم حيث اشتعلت الحروب فيما بينهم في الاقاليم الشرقية ، ولم يتمكن مسعود السلاجوقي من عمل شيء مع الخلافة بل مع السلاجقة انفسهم ، ويبدو انه اندهل من التطور السياسي الجديد في العراق وانه مرض وتوفى على اثر ذلك ، مما اتاح للخلافة طريقا

(٣٢) نفسه ، ١٤٨/١١ .

جديدا ساعدها في نضالها ضد السلاجقة اذا ما علمنا قوة شخصية ونفوذ مسعود السلجوقي ، ولقد علق المؤرخون آمالا على وفاة مسعود بالنسبة لمستقبل الخلافة فقال القلقشندي : « مات مسعود ومات بموته سعادة البيت السلجوقي ، فلم ترفع له بعد ذلك راية يعتديها » (٣٣) . ويقول نظمي زاده : « وضعفت شوكة السلاجقة بموته ، ونشطت الخلافة بعد وفاته ، وكان الباكون عندما يمرون بدار الخلافة يترجلون على ظهور خيولهم ، ويقبلون العتبة بتبجيل واحترام » (٣٤) . ويبدو ان الخليفة اصبح من القوة بحيث كان ينتظر حدوث حادث مفعج للسلاجقة لكي يستغله وبالفعل فانه استغل وفاة مسعود السلجوقي ثم صادر الخليفة دور اصحاب مسعود السلجوقي ببغداد ، واخذ كل ما لهم فيها ثم جهز جيشه استعدادا لما قد يطرأ من تطورات من قبل الامير السلجوقي الجديد (٣٥) . ثم خرج نداء الخليفة في بغداد : « انه

-
- (٣٣) القلقشندي ، مآثر الانافة في معالم الخلافة ، ج ٢ (الكويت ، ١٩٦٤) ٣٧ ، البطريق اسطفانيوس الدويهي ، تاريخ الازمنة ، ٥٦ .
(٣٤) نظمي زاده ، كلشن خلفا ، ترجمة كاظم نورس ، (التجف ، ١٩٧١) ١١٦ .
(٣٥) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ١٤٧/١٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ١٦١/١١ ، ابن دحية ، النبراس ، ١٥٧ .

من تخلف من الجند ولم يحضر الى الديوان ويجري على عادته في اقطاعه أبيح دمه وماله» (٣٦) ، ثم عزل الخليفة كل موظف ولاه مسعود السلجوقي ، وعين موظفين عوضا عنهم من قبله (٣٧) ، ثم عين الخليفة امراء وفوض الى كل واحد منهم جانبا من جوانب العراق (٣٨) ، وواصل الخليفة المقتفي لامر الله جهوده لاستعادة هيبة واحترام الخلافة ، فدعم جيشه بعناصر جديدة ، كما زاد في احكامات سور بغداد وخنادقها ، ورتب الولاة في الولايات ، وبعث رجال الاخبار الى مختلف الولايات لموافاته بما يستجد من أمور ، وكان هذا في الوقت الذي انشغل فيه السلاجقة بالحرب فيما بينهم للظفر بالسلطنة (٣٩) .

وذكر الذهبي ان الخليفة المقتفي لامر الله انفق على هذا الجيش الذي بلغ تعداده ستة الاف جندي مبلغا من المال قدره ثلاثمائة الف دينار (٤٠) ، فكان ذلك حافزا قويا للجند على بذل جهد اكبر في القتال الى جانب الخليفة ، كما ساعد هذا على انضمام اعداد اخرى الى جيش الخلافة حتى ان الخليفة عندما

-
- (٣٦) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ١٤٧/١٠ .
 - (٣٧) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ١٧٦ .
 - (٣٨) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ، ١٢٩ .
 - (٣٩) البنداري ، ال سلجوق ، ٢١٥ .
 - (٤٠) دول الاسلام ، ٦٤/٢ .

أستعرض جيشه لما وردته اخبار بان محمد شاه السلجوقي ينوي مهاجمة العراق كان تعداده قد زاد على اثني عشر الف جندي (٤١) ، وكان اول عمل عسكري قام به الخليفة ضد السلاجقة لما علم بوفاة مسعود السلجوقي وكما قال المقرئزي : « انه لما بلغ المقتفي موت السلطان مسعود احاط بداره ودور اصحابه واخذ كل ما لهم » (٤٢) ، ثم طرد الشحنة السلجوقي ببغداد واخذ داره ودور اصحابه ببغداد ، واخذ كل ما لهم فيها وكل من عنده وديعة لأحد منهم احضرها بالديوان (٤٣) ، وبعث السلطان ملك شاه الى الامير شكار كرد ثم قبض عليه وغرقه واستبد بالحلة ، فقاد المقتفي اليه العساكر مع ابن هبيرة فعبر الشحنة اليهم الفرات ، وقاتلهم فانهزموا ، وثار اهل الحلة بالدعوة للمقتفي ومنعوا الشحنة من الدخول فعاد الى تكريت ، ودخل ابن هبيرة الحلة ، وبعث الجيوش الى الكوفة وواسط فحرروها (٤٤) ، وهكذا فجأة على اثر وفاة مسعود السلجوقي تبدأ مرحلة جديدة من مراحل الانتصارات المتلاحقة التي

(٤١) نفسه ، ٦٥/٢ .

(٤٢) المقرئزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، (القاهرة ، ١٩٣٤) ٣٨ .

(٤٣) الخصري ، محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية ، ٤٥٠ .

(٤٤) ابن خلدون ، العبر ، ١٠٦٦/٣ .

حققتها الخلافة بزعامة الخليفة والوزير على
السلاجقة والمتغلبين مما ساعد الخليفة على تحقيق
مشاريعه ضد السلاجقة ، وبموت مسعود أفل نجم
البيت السلجوقي ، فقد خلفه في زعامة السلاجقة
سلاطين ضعاف قضوا وقتهم في اللهو واللعب
والأدمان على شرب الخمر (٤٥) ، وكانت سلطة ملوك
السلجوقيين قد ضعفت فانتهز المقتضي تلك الفرصة
وظل يقوي نفوذه في العراق ، حتى أسترد سلطة
الخلافة في الولايات الداخلية (٤٦) ، وذلك لان مسعوداً
السلجوقي قضى اكثر حكمه في اخماد الفتن حتى
تخلص من الخارجين عليه حيث خلا الجوله ، وظل
قويا مرهوب الجانب في المناطق الخاضعة لحكم
سلاجقة العراق الى ان توفي فضعفت بموته دولة
سلاجقة العراق وعادت مسرحا للفتن والحروب
الداخلية من جديد ، وصار السلاطين في ايدي
الامراء وقواد الجيش واثابة اذرييجان (٤٧) ، ولما
مات مسعود خلفه في سلطنة السلاجقة ابن اخيه

(٤٥) علي ابراهيم حسن ، التاريخ الاسلامي العام ، (القاهرة ،
١٩٥٩) ٤٥٧ .

(٤٦) امير علي ، مختصر تاريخ العرب ، (القاهرة ، ١٩٣٨)
٢٩١ .

(٤٧) عبدالمنعم حسين ، سلاجقة ايران والعراق (القاهرة ،
١٩٥٩) ١٣٠ .

ملكشاه بن محمود ، وكان المتغلب على المملكة اميرا يقال له خاص بك ، الذي كان من اتباع مسعود السلجوقي ، وقبض على ملكشاه بن محمود وسجنه ، وارسل الى اخيه محمد بن محمود وولاه السلطنة الا ان محمداً قتله وتخلص منه لانه رأى منه ما يدل على محاولته الاستئثار بالسلطنة (٤٨) ، فصقت امور السلطنة السلجوقية لمحمد بن محمود السلجوقي ، الا ان المهم في الاحداث أن وفاة مسعود السلجوقي فتحت الطريق لنضال الخلافة الحقيقي من اجل تحرير العراق من سيطرة المتغلبين ، وذلك لان مسعودا كان يعد حجر عثرة امام نضال الخلافة ضدهم ، وقد قال الخليفة عند موت مسعود السلجوقي : « لا صبر على الضيم بعد اليوم ولا قوام مع هول هؤلاء القوم » (٤٩) ، وابتدأ العمل الجاد من اجل تحرير العراق منهم .

تحرير العراق من سيطرة السلاجقة :

اتجهت سياسة الخليفة المقتفي بعد وفاة مسعود السلجوقي الى تصفية ما تبقى من نفوذ السلاجقة في العراق وتحريره كاملا من سيطرتهم واعادة السيادة العربية اليه ، بعد ان ظل طوال الفترات والعهود

(٤٨) ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ٢٤-٢٣/٣ .

(٤٩) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ٢١٤ .

السابقة تحت نفوذ المتغلبين وتسلطهم . واهم ما تم
تحريره في هذا الشأن هو مدن تكريت وواسط
والبصرة والحلة . الخ من مدن العراق .

تحرير مدينة تكريت :

كانت تكريت لما تزل تحت سيطرة السلاجقة
وبعد وفاة مسعود السلجوقي سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م ،
وماقام به الخليفة من اجراءات ضد السلاجقة في بغداد
وجد أن مسعود بلال شحنة بغداد هرب من الخليفة ،
ولجأ الى السلاجقة الذين بها لا يزالون يحتلون مدينة
تكريت (٥٠) ، وفي العام التالي ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م
قرر الخليفة المقتفي لامر الله تحرير تكريت فارسل
قوات عسكرية الى تكريت بقيادة ابي بدر ظفر
بن الوزير ابن هبيرة وكان معه ترشك المقتفوي
— وهو من خواص الخليفة — في خمسمائة فارس ،
وذلك لتحريرها من سيطرة السلاجقة ، وحدث خلاف
بين ابن الوزير وترشك الذي ارسل سرا الى مسعود
بلال شحنة تكريت السلجوقي قائلاً له : « ان اقبض
على الذين معي واسلمهم اليك ، فقال له : اذا فعلت
ذلك فعلت فعلاً مما تشكرني عليه ، فقبض عليهم

(٥٠) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ١٥٢-١٥٣ ، ابن الاثير ،
الكامل / ١٨٩ .

وسلمهم الى صاحب القلعة واخذ سلاحهم وخيلهم » ،
فضلا عن خمسين حملا واخذ صاحب قلعة تكریت
مسعود بلال وترشك يهاجمون طريق خراسان
ويقطعونه على الناس وكان مسعود بلال من أعوان
وأتباع مسعود السلجوقي ويصفه الحسيني : « انه
كان سخييف العقل والرأي قليل الدين بعيدا عن
الخير ، كان يعتمد اموالا اكثرها خارج عن الشرع
بعيدا عن رسوم السياسة المعقودة ، يقصد بذلك
اعياش لاماء المقتضي لامر الله ، وكانت المراسلات في
الديوان العزيز ترد الى السلطان مسعود بالشكاية
منه ، فتارة كان يزجره عن فعله وتارة يمسك عنه ،
فحصل في قلب الامام المقتضي لامر الله من ذلك كله
وحشة وانطوى على حقد » (٥١) ، ولذلك فانه اراد
ان يستأثر بنفوذه ومكانته في تكریت وخاصة بعد
ان انضم اليه قائد الخليفة ترشك ، ويفهم من نص
للبنداري ان مسعود بلال كان واليا لبغداد في عهد
مسعود السلجوقي ، فبعد وفاته « قامت القيامة
وتعذرت عليه الاقامة » فاتجه الى الحلة واستولى
عليها بعد ان قتل السلار الكردي وبعد هزيمته امام
جيش الخلافة لحق بهمدان مستصرخا السلاجقة (٥٢) ،

(٥١) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ، ١٢٩ .
(٥٢) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ٢١٤-٢١٥ .

ويبدو انه بعد ان اعد جموعه وجيوشه اتجه الى تكريت التي لم تزل خاضعة للسلاجقة ، حيث تحصن بها مسعود بلال واعلن عصيانه وتمرده على الخليفة المقتفي وجهاز الخليفة المقتفي جيشا كبيرا قاده بنفسه واتجه الى طريق خراسان فهرب قطاع الطرق من السلاجقة بقيادة مسعود بلال وترشك الى مدينة تكريت ، وطاردهم الخليفة وضرب حولها الحصار اياما ، وجرت حروب كثيرة بينه وبين السلاجقة من ورام السور وقتل عدد كبير من الناس (٥٣) ، فاضطر الخليفة الى رفع الحصار والاتجاه نحو واسط لدفع خطر ملك شاه السلجوقي عنها ، وبعد ان حررها عاد الى بغداد (٥٤) . قرر المقتفي اللجوء الى الاسلوب الدبلوماسي مع السلاجقة في تكريت حيث بعث رسولا اليهم بقصد اطلاق سراح الاسرى وعلى رأسهم ابن الوزير فغدر السلاجقة بالرسول واودعوه السجن (٥٥) ، وعند ذلك بعث الخليفة جيشا الى تكريت وجوبه بمقاومة عنيفة ، الا ان الجيش تمكن من فتح المدينة وهرب اغلب السلاجقة منها ومنهم مسعود بلال الا من كان بقلعتها الحصينة ، ودخل الجيش

(٥٣) ابن الاثير ، الكامل / ١٨٩ .

(٥٤) ابن الجوزي ، المصدر السابق ١٠ ظ ١٥٢-١٥٣ .

(٥٥) نفسه ، ١٠ / ١٥٣ .

البلد » ونصب ثلاثة عشر منجنيقا على القلعة ،
ووقع من سورها ابراج ، وبعث صاحب الموصل اليهم
رسولا طلب اطلاق سراح الاسرى فرفضوا وظلوا
متحصنين بالقلعة (٥٦) ، التي ظل الحصار مفروضا
عليها ، وامر الخليفة بالقتال والزحف ، فاشتد القتال
وكثر القتلى ، ورغم كل ذلك لم يتمكن جيش الخلافة
من فتحها ، فاضطر الخليفة الى سحب قواته نحو
بغداد (٥٧) ، انتظارا لتهيئة سبل مهاجمة القلعة
تمهيدا لفتحها ، وجهز الخليفة جيشا وطلب من
الوزير ان يتولى قيادته لحصار قلعة تكريت من
جديد ، حيث أعدت الآلات والوسائل الكثيرة الخاصة
بفتح القلاع ، فدخل المدينة ونادى « من تخلف بعد
ثلاث ابيع ماله ودمه » وعرض العسكر فكانوا ستة
الاف فارس ، فنزلوا الى القلعة ، وبعد ان اوشك ان
يفتحها جاء الخبر بان مسعود بلال السلجوقي ومعه
امراء السلاجقة قد هاجم شرق العراق ووصل الى
شهربان ، فأمر الخليفة بتسرك تكريت والتوجه
لمحاربتهم (٥٨) ، وبعد ان تمكنت الخلافة من القضاء
على مسعود بلال ومن معه ، تكون قد تمكنت من

(٥٦) نفسه ، ١٥٦/١٠ .

(٥٧) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ١٩٤ .

(٥٨) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ١٥٦/١٠ .

القضاء على اخطر غزو سلجوقي للعراق والذي حاصر بغداد بقيادة محمد السلجوقي ، بعد كل هذا تفرغت الخلافة للقضاء على بقايا السلاجقة في تكريت ، وتم لها ذلك بتحقيق نصر على السلاجقة فيها ، وتم اطلاق سراح ابي البدر ابن الوزير ابن هبيرة من حبس تكريت ومن معه وذلك في عام ٥٥١ هـ (٥٩٠) ، اي في السنة نفسها التي انتصرت فيها قوات الخلافة على محمد السلجوقي في بغداد ، ولقد أستقبل ابو البدر في بغداد من قبل اخيه مع مركب خاص أعد لاستقباله يقول ابن الاثير : «وكان يوما مشهودا ، وكان مقامه في السجن يزيد على ثلاث سنوات» (٦٠) .

تحرير واسط والفراف والبطائح :

كانت الخلافة مستمرة في مجابهة المشكلات مع السلاجقة ، وذلك ان مسعود بلال وترشك السلجوقي هاجما مدينة واسط ، وانتهبا ما يختص بوزير الخلافة من الاملاك فارسل الخليفة المقتضي قوة عسكرية بقيادة وزيره ابن هبيرة ، فاصطدم بالقوات السلجوقية التي انهزمت وطاردتها قوات الخلافة ،

(٥٩) ابن الاثير ، نفسه ، ٢١٦/١١ .

(٦٠) الكامل في التاريخ ٢١٦/١١ .

وحررت مدينة واسط من سيطرتهم ، وعاد الوزير بعد ذلك الى بغداد « - حيث شرفه الخليفة بقميص وعمامة ولقبه سلطان العراق ملك الجيوش (٦١) ، غير انه لما حوصرت بغداد من قبل السلاجقة كانت منطقة الغراف تحت سيطرة النفوذ السلجوقي حيث انضم بدر بن المظفر بن حماد الى السلاجقة وارسل اليهم المؤونة والرجال من الغراف وواسط والبطائح (٦٢) . وبلغ من ضعف السلاجقة وقوة الخلافة العباسية ، انه لما بلغ الخليفة تخبيط بواسط سنة ٥٤٧ هـ اتجه اليها في النهر فهرب اولا الطرنتاوي خطلبرس الى شحنكية واسط ثم مضى الى الحلة والكوفة وعاد الى بغداد (٦٣) ، كما ان ملكشاه السلجوقي الذي سار الى العراق سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م كعادة من سبقه من سلاطين السلاجقة اضطر الى الانسحاب من مدينة واسط عندما علم بمسيرة الخليفة المقتفي لامر الله اليه ، ولم يجرؤ على الاشتباك معه في قتال (٦٤) ، كما كانت البصرة تحت السيطرة السلجوقية حيث انضم ارغش صاحب

(٦١) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ١٥٧/١٠ .

(٦٢) البنداري ، المصدر السابق ، ٢١٢/١١ .

(٦٣) ابن الجوزي ، نفسه ، ١٤٨/١٠ .

(٦٤) البنداري ، ١٥٢-١٥٣/١٠ .

البصرة الى السلاجقة وهاجم واسط واخذها، وتمكنت قوات الخلافة من السيطرة مرة اخرى على واسط وتحريرها من سيطرتهم ، وبعد ذلك حظيت بعناية ورعاية الخليفة المقتفي الذي زارها في عامي ٥٥٣هـ و ٥٥٤هـ وبعد ذلك اتجه الخليفة المقتفي الى الغراف وولاها ابا جعفر بن البلدي وقبض على ابن مفلح وزير ظفر عاملها وعاقبه بعد أن عزل واليها واعادها لنفوذ الخلافة (٦٦) ، وبذلك تم تحريرها من سيطرة المتغلبين عليها واعوانهم *

حملة الخليفة الى داقوق :

وقاد الخليفة المقتفي الجيش العباسي الى مدينة داقوق عام ٥٥٠هـ وقاتل من بها من المناوئين للخلافة ، ثم غادرها عائدا الى بغداد (٦٧) ، وذلك رآفة بسكانها الذين عانوا من الحصار ، حيث بعثوا اليه طالبين منه ان يرحل عنهم لانهم قد هلكوا من الجيشين «فأجابهم ورحل عنهم» (٦٨) *

(٦٥) راجع الفصل الرابع ، الزيارات التفقدية للخليفة .

(٦٦) البنداري ، نفسه ، ٢٦٦ .

(٦٧) ابن الاثير . المصدر السابق ، ٢٠١/١١ .

(٦٨) ابن كثير ، المصدر السابق ، ٢٣٢/١٢ .

تحرير مدينة اللحف :

وجهاز الخليفة المقتفي جيشا كبيرا الى بلد اللحف وتمكن من تحريره واعادة ضمه الى العراق الذي انسلك عنه عام ٥٤٩ هـ (٦٩) .

تحرير الحلة والكوفة وكر بلا :

كانت الحلة والكوفة تحت سيادة الخلافة العباسية بصورة تامة عام ٥٥٠ هـ حينما عاد الخليفة من حملته على بلد اللحف واتجه الى بغداد « ثم خرج نحو الحلة والكوفة والجيش بين يديه » (٧٠) ، الامر الذي يؤكد انضمامها بصورة تامة للسيادة العباسية ، الى ان خضعتا الى المتمردين بقيادة مهلهل (٧١) ، الذي انضم الى القوات السلجوقية المحاصرة لبغداد في عام ٥٥١ هـ ، وأعيدت السيطرة عليها ، وتم القاء القبض على عدد من المتمردين الذين انضموا الى السلاجقة أثناء محاصرة بغداد وتم اعدامهم وامراؤهم ، وشنقوا وبخاصة الامير حسين المضطرب واخوه ماضي وعدة من رجالهم (٧٢) ، وبذلك تم

(٦٩) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ١١/ ١٩٦ .

(٧٠) ابن كثير ، نفسه ، ١٢/ ٢٣٢ .

(٧١) ابن الاثير ، نفسه ، ١١/ ٢١٢-٢١٣ .

(٧٢) البنداري ، المصدر السابق ، ٢٢٨-٢٢٩ .

تحرير مدينة الحلة بصورة تامة من السيطرة السلجوقية ، وكذلك مدينتي الكوفة و كربلاء ، وقد زار الخليفة المقتضي كربلاء في عام ٥٥٣ هـ ، حيث زار قبر الحسين بن علي رضي الله عنه (٧٣) .

تحرير بعقوبة وشهربان :

قرر السلاجقة نبذ خلافاتهم جانبا وتوحيد كلمتهم ضد الخليفة العباسي المقتضي لامر الله ، في محاولة لاعادة نفوذهم ومكانتهم في الخلافة العباسية ، في الوقت الذي كان جيش الخلافة يحاصر السلاجقة في قلعة تكريت ، بقيادة الوزير ابن هبيرة ، وكان مدير هذا التحالف المعادي مسعود بلال شحنة بغداد السابق ، الذي خرج منها بعد موت مسعود السلجوقي ، وبعد سلسلة من الانكسارات توجه الى همدان لمقابلة محمد السلجوقي وطلب اليه ان يعد العدة للهجوم على الخلافة ، غير ان محمدا السلجوقي رفض طلبه قائلا : « لن تكون لنا طاقة على دفع الخليفة اذا نهض بنفسه لقتالنا لأن الامراء في مثل هذه الحالة لن يقفوا في وجهه فيجب ان تأذن لواحد من السلاطين المقيمين في تكريت للوقوف لمواجهة الخليفة » (٧٤) ، وهذا يبين مدى ادراك محمد

(٧٣) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ١٨١/١٠ .

(٧٤) الرواندي ، راحة الصدور ، ٤٠٧ .

السلجوقي لقوة وشخصية الخليفة ومكانته، ويمتدح
البنداري رأي محمد السلجوقي هذا بقوله : « وكان
السلطان محمد يرجع الى عقل وحلم بين ورأي
رزين » (٧٥) ، وقال محمد لمسعود بلال ولمن اتفق معه
من السلاطين السلاجقة محذرا اياهم من مغبة
الاستمرار في مسعاهم : « لاتعجلوا فان مخالف
الخليفة مشؤوم ومواليه محمود ومعاديه مذموم ، وانا
أستقبح سلطتي بمعاداته وفي مناوآته » (٧٦) . الا
أن موقف محمد هذا لم يثن الامراء السلاجقة عن
عزيمتهم في مواجهة الخليفة وقالوا : « ارزاقنا
قطعت واعراقنا قد قلعت ودورنا قد انزلت ، وولاتنا
عزلت ولايد من مداواة هذا الداء قبل اغفاله
وتداركه قبل اسيفحاله » (٧٧) ، وقالوا : « ونحن
نمضي ونقضي هذا الشغل * * ونلقى بجمعنا الجمع
نحصد بسيوفنا الزرع » (٧٨) . واخيرا ذكرهم بسوء
فعلهم هذا حينما قال لهم « كان رأيي ما ذكرته
وعرفتكم ما انكرته ، والان فافعلوا ما رأيتموه
وأعملوا * * فودعوه وركبوا » (٧٩) . ويعلق الحسيني

(٧٥) البنداري ، المصدر السابق ، ٢١٦ .

(٧٦) نفسه ، ٢١٦ .

(٧٧) نفسه ، ٢١٦ .

(٧٨) نفسه ، ٢١٦ .

(٧٩) نفسه ، ٢١٦ .

على الجمع الكبير من السلاجقة ، الذي كان تحت سيادة مسعود بلال بقوله : « واجتمع اليهم سائر التركمان وصاروا في عساكر تموج بهم ويستتر الغبار وجه السماء ووصل خبرهم الى المقتضي الامر الله » (٨٠) ، وقرر الخليفة المقتضي تدارك الامر وترك قوا السلاجقة ، فسيطرت على المنطقة الشرقية من العراق واستحوذت على طريق خراسان الذي يربط بغداد بالاقاليم الشرقية ، واخذوا بمهاجمة وسلب كل من يمر على الطريق من الناس والتجار وغيرهم واتجهت قوا الخلافة لمجابهة السلاجقة ، واصطدم العسكران على بكمزا » (٨١) ، بالقرب من بعقوبة في معركة حاسمة سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م ، وبادرهم الخليفة بالهجوم حينما عبر النهر اليهم ، واستمرت المعارك ثمانية عشر يوما وتحصن السلاجقة بالخركاها والمواشي ويقال : « انهم كانوا اثني عشر الف بيت من التركمان » ، واحتدمت المعارك فانهزمت ميسرة الخليفة وجزء من القلب ، وبلغت الهزيمة الى بغداد ، حيث هاجموا

(٨٠) الحسيني ، المصدر السابق ، ١٣١ .

(٨١) بكمزا : بالفتح والزاي قرية بينها وبين بعقوبا نحو فرسخين وكان بينها وبين بعقوبة الواقعة المشهورة وتقع حاليا في محافظة ديالى ، راجع الحموي ، معجم البلدان ، (طهران ، ١٩٦٥) ج ١ / ٧٠٦ .

خزانة الخلافة وقتلوا خازن الخليفة يحيى بن يوسف ابن الجزري (٨٢) ، وكان لسلاح الفرسان اثر كبير في تغيير مجرى القتال حينما استمات قادة الخليفة وترجلوا الى الارض ومعهم الخليفة الذي رفع الطرحة من رأسه وجذب السيف ولبس الحديد ومعه ولي عهده ونادى « يا آل مضر ، وفي رواية يا آل هاشم : « كذب الشيطان » وقرأ الآية الكريمة « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا » .

وكان وزيره يشجعه على الثبات والاستمرار بمناضلة المعتدين وقال له : « يا امير المؤمنين قد وقعت العين في العين وقد وصلت سهامهم الينا » (٨٣) ، فشجعه على الصمود ، وضم اليه خيرة الرجال من اجل تلافى الامر ومجابهته وجمع قوات مكثفة ومن انحاء شتى وضم اليه عدة قادة امثال المهلهل والامير مؤيدان والامير منكوبرس ، واستقدمت قوات عسكرية من البصرة وواسط والحلة وسائر انحاء العراق ، وكان صاحب واسط الذي قاد قوة عسكرية الامير بدر الدين بن مظفر بن حماد صاحب الفرات والبطايح (٨٤) ، ويعلق

(٨٢) ابن الاثير الكامل ، ١٩٥/١١ - ١٩٦ ، ابن الجوزي ،

المنتظم ، ١٥٦/١٠ - ١٥٧ ، الاحزاب ، الآية (٢٥) .

(٨٣) الكازروني ، مختصر التاريخ ، ٢٣٠ .

(٨٤) الحسيني ، المصدر السابق ، ١٣١ .

الحسيني على هذه القوة الكبيرة المتجمعة بقوله :
« واجتمع ببغداد عسكر لم يجتمع مثله في وقت من
الافاق » (٨٥) ، واتجهت كذلك قواا الخلافة
المحصرة للسلاجقة في مدينة تكريت ، وانضمت الى
قواا الخلافة وذلك بقيادة الوزير ابن هبيرة ، اما
بالنسبة للسلاجقة فان مسعود بلال امر باخراج
ارسلان شاه بن طغرل بن محمد من قلعة تكريت وكان
محبوسا بها ، وقال : « هذا السلطان نقاتل بين يديه
بازاء الخليفة » (٨٦) ، واتفقت كلمة السلاجقة
جميعا على مقاتلة الخليفة المقتفي لامر الله ، الذي
كا قد استعد لهم ، كما ان محمدا السلجوقي في آخر
المطاف غير موقفه الحيادي من الخلافة وانحاز
للسلاجقة حيث تذكر بعض الروايات انه بعث قواا
عسكرية نجدة لمسعود بلال السلجوقي الا ان ارسالها
كان متاخرا (٨٧) . ودارت رحى معركة عنيفة مذهلة
بين الجانبين كان من نتائجها انتصار تاريخي كبير
على السلاجقة ، ولاول مرة يتحقق مثل هذا الانتصار
الكبير ، منذ ان بدأت محاولات جادة من الخلفاء
لمواجهة السلاجقة ، وشارك في معركة بكمزا التي

(٨٥) نفسه ، ١٣١ .

(٨٦) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ١٩٥/١١ .

(٨٧) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ١٩٦/١١ .

قادها الخليفة المقتفي لامر الله جميع قواته ورجاله
بمن فيهم الوزير ابن هبيرة الدوري الذي عندما
شاهد شدة الموقف وهوله قال للخليفة : « يا امير
المؤمنين قد وقعت العين في العين وقد وصلت سهامهم
الينا فلم يبق الا ان تناجي ربك فانه منجزك ما
وعدك ، فانحاز الى رابية وصعداها ثم استقبل القبلة
وكشف رأسه ورفع يده الى الله تعالى داعيا فما استتم
الدعاء حتى انهزم العدو ومزق كل ممزق وعاد
مظفرا - اي الخليفة - (٨٨) .

وكان من ابرز قادة السلاجقة البقش كون خور ،
وغیره ، والذي لم يتمكن من الصمود والثبات وهرب
وتبعه عسكر الخليفة وعمل فيهم قتلا واسرا (٨٩) ،
وحصلوا على غنائم كثيرة جدا ، ويقول ابن الاثير
«وظفر الخليفة بهم وغنم عسكره جميع مال
التركمان من دواب وغنم وغير ذلك فبيع كل كبش
بدانق » (٩٠) ، وكشف المقتفي عن خلقه الانساني
الرفيع حينما امر باطلاق سراح النساء والاطفال الذين
أسروا في المعركة ، ذلك لان السلاجقة كانوا قد
حضرُوا بنسائهم واولادهم وخركاهااتهم وجميع مالهم

(٨٨) ابن الكازروني ، المصدر السابق ، ٢٢٩-٢٣٠ .

(٨٩) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ١٩٥/١١ .

(٩٠) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ١٩٥/١١ .

فأخذ جميعه ونودي : « من أخذ من اولاد التركمان
ونسائهم شيئاً فليرده ، فردوه » (٩١) ، وبذلك تحقق
اعظم انتصار عباسي على الاعاجم منذ تسلطهم على
بغداد والعراق .

وقد اشاد المؤرخون بهذا الانتصار العظيم ،
الذي عزز من مركز وقوة الخليفة المقتضي ، يقول
الحسيني : « وخلص العراق من خبث وفساد مسعود
البلالي والتركمان » (٩٢) ، والذي هرب واستمرت
قوات الخلافة في مطاردة فلول السلاجقة المنهزمة
والتي اتجهت الى بلد اللحف ، وتمكنت قوات الخلافة
من تحريره ، واتجهت فلولهم الى ايران شرقا حيث
مات البقش ، واتجه ارسلان الى زوج امه ايلدكز
فصار معه رغم محاولات محمد السلجوقي بجعله معه ،
ويبدو ان قسما من المنهزمين اتجهوا الى معمد
السلجوقي الذي عاتبهم قائلاً (٩٣) « كسرتم واقلقتم
أنفسكم واهلكتم التركمان ، وعرضتكم للسبي
الذراري منهم والنسوان ثم اخرجتم الملك ارسلان
وغفلتم عن حفظه » (٩٤) ، ويبدو أن محمدا قد ندم

(٩١) نفسه ، ١٩٥/١١ .

(٩٢) الحسيني ، المصدر السابق ، ١٣٣ .

(٩٣) ابن الاثير ، نفسه ، ١٩٦/١١ .

(٩٤) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ١٩٦/١١ .

على تصرفه المتأخر والذي كان في غير صالحه حينما ارسل قوات لنجدة السلاجقة ، ويروي ابن الاثير ان محمدا ارسل عسكريا مع خاص بك من اقستقر نجدة للبقش كون خور ، فلما وصلوا الى الراذان بلغهم خبر الهزيمة فعادوا (٩٥) .

وكان لانتصار الخلافة هذا اثره الفاعل في ارتفاع عزم الخليفة ورجاله في مواصلة نضالهم للسلاجقة وكبح جماحهم ، ووضع حد لتسلطهم على شؤون الخلافة العباسية ، كما كشفت عن مدى اتحاد العراقيين وتعاونهم تحت قيادة الخليفة ، وان هذا الاتحاد اثر في تشتيت وحدة السلاجقة وانقسامهم على انفسهم حتى ان محمدا السلاجوقي كان يخشى من اتجاه الملك ارسلان الى ايلدكز بسبب الخلاف الشديد بينهما ، فعلا فانه اضطرب بعد اتجاهه اليه حيث قال محمد للسلاجقة الذين اندحروا امام جيش المقتضي : « ثم اخرجتكم الملك ارسلان وغفلتم عن حفظه وهو الآن عند ايلدكز وستبصرون ما يفضي اليه الامر ولا بد من ان يتوجه الى من جانبه الشر وقد صار الخليفة خصما فلا يخلص بعد هذا » (٩٦) .

(٩٥) البنداري ، المصدر السابق ، ٢١٩ .

(٩٦) البنداري ، المصدر السابق ، ٢١٩ .

ولذا فان لانتصار الخلافة سالف الذكر اثره البارز في احداث الشقاق والخلاف بين السلاجقة اضيف الى ذلك ان الاحداث كشفت عدم اخلاص السلاجقة للخلافة العباسية وبالاخص محمد السلجوقي الذي ظل ملتزما بموقف محايد حتى آخر لحظة حينما غير موقفه وانحاز للسلاجقة .

انتصار الخلافة على السلاجقة في بغداد عام

٥٥١ - ٥٥٢ هـ / ١١٥٦ - ١١٥٧ م

استغل الخليفة المقتفي حالة الانشقاق والخلاف بين اعدائه السلاجقة لكي يتمكن من ضربهم منفردين ، وشجع اولئك الخارجين على الامير السلجوقي فعندما انتصر على قوات سلمه السلجوقي عام ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م واسر عددا من وجوه السلاجقة نجده قد احسن اليهم واکرمهم ثم قبل عذر شملة السلجوقي وسرحه لمحاربة ملك شاه بن محمود بن محمد بن ملكشاه وطرده من المناطق الممتدة ما بين احواز واواسط البصرة الى اقليم فارس ، واستولى عليها (٩٧) . كما ان الخليفة بان له ضعف سليمان شاه الذي كان مطاردا من قبل السلطان السلجوقي

(٩٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ / ١٦١ .

محمد شاه ابن اخيه محمود بن محمد والذي سير عليه جيشا ، قهرّب من قاشان (٩٨) ، الى عربستان الحالية فمنعه ملكشاه عنها ، فاتجه الى الحنف ونزل البندنجين (٩٩) ، ومن هناك ارسل الى الخليفة رسولا يخبره بوصوله وترددت بينهما الرسل ، ولكي يضمن الخليفة عدم مخادعة سليمان شاه فآته استقر على ان يرسل زوجته رهينة فارسلها الى بغداد مع كثير من الجواري والاتباع وقال « قد ارسلت هؤلاء رهائن فان اذن أمير المؤمنين في دخول بغداد فعلت والا رجعت » ، وتلمس من هذا النص ان الخليفة اصبحت له مكانة مرموقة جدا امام اعدائه السلاجقة ، ويمكن ان يقارن المرء بين هذا الوضع والوضع السابق حين كان سلاطين السلاجقة يدخلون قصر الخلافة وليس بغداد بكل حرية ويسر • ودخلت زوجة السلطان ومن معها على الخليفة فاکرمهم ، وبعد ذلك اذن الخليفة لسليمان السلجوقي بالقدوم الى بغداد وعند مقدمه لم يحتفل الخليفة له على خلاف العادة الجارية في استقبال السلاجقة • ويعلق

(٩٨) قاشان : مدينة قرب اصفهان تبعد عنها ثلاث مراحل (البغدادی ، مرصد ، ١٠٥٧/٣) •

(٩٩) البندنجين : بلدة مشهورة في طرق النهر وان وهي كثيرة الزرع والخيرات (البغدادی ، نفسه ، ٢٢٥/١) •

(١٠٠) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ١٦١/١٠ •

الذهبي على ذلك بقوله « ٠٠ ولم يحتفل لمجيئه لتمكن
الخلافة وقوة دولته وكثرة جيوشه وهيئته » (١٠١) ،
فقدم سليمان ومعه جماعة يبلغون ثلثمائة رجل ،
فخرج عز الدين محمد ولد الوزير ابن هبيرة ومعه
قاضي القضاة والنقيبان وقال له : « امير المؤمنين
صلوات الله عليه يسلم عليك ويهدي تحيته اليك » (١٠٢)
وحينما وصل الى الباب النوبي انزلوه والزموه
بتقبيل العتبة ، وقال البغدادي معلقا على الحادث
« وما قبل تلك العتبة قبل سليمان سلطان سلجوقي
ولا ملك ديلمي وكان منهم شقي وسعيد » (١٠٣) ، وهذا
تحول خطير في مجرى العلاقات السياسية بين الخلافة
المقتضية والسلاجقة الذين لمسوا فعلا قوة وهيبة الخلافة
وسعة نفوذها، وحينما دخل بغداد خلع عليه الخليفة
وقد احضر قاضي القضاة والشهود واعيان
العباسيين ، وحلف للخليفة على النصيح والموافقة
ولزوم الطاعة وأنه لا يتعرض الى العراق بحال (١٠٤) ،
لكنهم لم ينعتوه الا بالمعظم ولم يسموه بالسلطنة ،
وكانوا يقتصرون به على المعظم ، وذلك غاية ان

(١٠١) العبر ، ١٤٢ .

(١٠٢) دولة آل سلجوق ، ٢٢٠ .

(١٠٣) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ٢٢٠ - ٢٢١ .

(١٠٤) ابن الاثير ، الكامل ، ٢٠٦/١١ - ٢٠٧ .

يعظموه» (١٠٥) ، ولقبه الخليفة القاب ابيه غياث الدنيا
والدين وخلع عليه (١٠٦) ، ثم انه قدم للمقتضي
عشرين الف دينار ومائتي كسر (١٠٧) ، ذلك لان
الخليفة قرر انه ليس في العراق شي (١٠٨) .

ولذا فان الخليفة تمكن ان يكسب سليمان
السلجوقي الى جانبه ليضرب به السلاجقة وجهزه
بثلاثة آلاف فارس وجعل الامير قويدان صاحب الحلة
اميرا معه ، واتجه نحو رانية (١٠٩) ومنها الى بلاد
الجبيل ، وكاتب ملكشاه بن محمود أخي السلطان
محمد صاحب همدان فحلف كل منهما لصاحبه ،
وجعل ملكشاه ولي عهد لسليمان شاه « وقواهما
الخليفة بالمال والاسلحة وغيرها » فاتجهوا جميعا في
جمع كبير (١١٠) ، ولما علم بذلك السلطان محمد
ارسل الى قطب الدين مودود صاحب الموصل ونائب
زين الدين يطلب منهما المساعدة والمعاضدة ،
فانضموا اليه لانه اغراهم بوعوده باعطائهم الاموال

(١٠٥) البغدادي ، المصدر السابق ، ٢٢١ .

(١٠٦) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ٢٠٦/١١ .

(١٠٧) الكر : وحدة مكيال = ٢٩٩ طن تقريبا (انظر فالتز

هنتس ، المكايل والاوزان ، ٧٠) .

(١٠٨) الذهبي ، العبر ، ١٤٢/٤ .

(١٠٩) رانية : مدينة عراقية تقع شمال شرق العراق .

(١١٠) ابن الاثير ، الكامل ، ٢٠٦/١١ - ٢٠٧ .

ووقعت الحرب بين الجانبين ، فانهمزم سليمان شاه
ومن معه ولم يصل من عسكر الخليفة سوى خمسين
رجلا من اصل ثلاثة الاف رجل ، واتجه سليمان شاه
الى بغداد على طريق شهرزور (١١١) ، فخرج اليه زين
الدين في جماعة من عسكر الموصل حيث القي القبض
عليه وأسر واخذ الى قلعة الموصل وسجن فيها (١٢) .
وكان انتصار السلاجقة هذا قد عزز من مركز
السلطان محمد السلجوقي الذي اخذ يحرض
السلاجقة عامة على الخليفة المقتضي لامر الله ،
ووصل به الفرور والاعتداد بنفسه وقوته انه كتب
في سنة ٥٤٩ هـ الى مسعود بن بلال طالبا اليه
مهاجمة بغداد واحتلالها الى حين وصوله ولحقه
بهم (١١٣) ، وقد كتب اليه علي كوجك امير الموصل
قائلا له « اذا اردت ان تقصد بغداد فأنا الحق
بك (١١٤) ، وفعلنا تقدمت قوات السلاجقة
وحلفاؤهم حيث احتلوا بعقوبا (١١٥) ، كما ان بدر
ابن المظفر بن حماد الذي سيطر على العراق قد انضم
الى السلاجقة وكان يرسل لهم المؤونة والرجال من

(١١١) شهرزور : سهل وكورة في شمال شرقي العراق .

(١١٢) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ٢٠٧/١١ .

(١١٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٥٨/١٠ .

(١١٤) نفسه ، ١٦٥/١٠ .

(١١٥) نفسه ، ١٦٥/١٠ .

الفرات وواسط والبطائح فضلا عن عدد من الامراء الذين انضموا اليهم (١١٦) . كما ان ارغش الذي سيطر على البصرة استولى على واسط ايضا واستولى مهلهل على الحلة فاخذها (١١٧) ، ولم ينضم الى الخليفة الا امير واسط خطلبرس (١١٨) ، وكان انضمامه للخلافة قد ترك واسط قريسة امام ارغش صاحب البصرة وبعد ذلك اتجهت قوات السلاجقة بقيادة السلطان محمد السلجوقي الذي لحق بهم واتجهوا صوب بغداد وهم مصممون على القضاء على المقتفي الذي اذلهم وأهانهم فنزلوا من جانب باب الشماسية وارسل الى المقتفي خطابا في محاولة لخدع الخليفة حيث أظهر فيه الطاعة له ، ويذكر الحسيني انه ارسل الى المقتفي وذكر انه « عبد الطاعة وانه ليس له مقصود بمجيئه الى بغداد الا ان يعود عنها ، وقد علم ملوك الاطراف ان امير المؤمنين عنه راض وانه يسعد بامارة الرضى عنه وهو ان يذكر اسمه على المنابر تلو اسم امير المؤمنين ويعود عن بغداد ، ولا يكون له فيها وال ولا صاحب يشار اليه ، واجتهد ان يشير عليه بامرین غير فقال فيما أجابوه عن

(١١٦) البنداري ، المصدر السابق ، ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(١١٧) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ٢١٢/١١ - ٢١٣ .

(١١٨) نفسه ، ٢١٢/١١ .

مراسلاته بشيء ، ولا حال يسكن اليها سوى ما قالوا له : انك تعود الى همدان وتقيم فيها الى ان ندير امرك » (١١٩) . غير ان الخليفة لم يلتفت الى ذلك الخطاب بل ولم يستكن لمراسلات محمد السلجوقي وطلباته ، حيث ظل ملتزما بجانب الشدة والصمود ضدهم ، رغم صعوبة موقف الخلافة ، لان الجيش السلجوقي حاصر الجانب الشرقي من بغداد بصورة سريعة ومفاجئة ، ويبدو أن الخلافة لم تكن تتوقع وصول جيوش السلاجقة بهذه السرعة لمحاصرة بغداد .

الحرب ... والانتصار في بغداد :

واستعدت بغداد لمجابهة الحصار السلجوقي فارسل الخليفة في طلب النجدة من الامراء فاقبل خطلبرس من واسط ، وانضم ارغش الى السلاجقة واستولى على واسط في الوقت الذي حدث تمرد بمدينة الحلة (١٢٠) ، وبرع الخليفة في مواجهة الحصار السلجوقي للتخلص منه ، وجمعت السفن وقطع الجسر ، ونقلت الاموال الى حريم دار الخلافة ، وضرب الخليفة المناطق التي يوجد فيها السلاجقة

(١١٩) الحسيني ، المصدر السابق ، ١٣٤ .

(١٢٠) الحسيني ، المصدر السابق ، ١٣٤ .

حيث ضرب مناطق وجودهم في قصر عيسى
والمربعة ، والقريّة ، والمستجدة والنجمي ، ونهب
اصحابه ما وجدوا فيها ، في حين خرب السلاجقة نهر
القرايين والتوثة وشارع ابن رزق الله وباب الميدان
وقطفتا وتمكن اهل الكرخ وأهل باب البصرة من
الخروج الى عسكر محمد السلجوقي واستولوا على
اموال كثيرة » (١٢١) ، وبدأت الساعات تقترب من
حرب عنيفة بين الجانبين * وذكر ابن الجوزي
استعدادات الخلافة لمجابهة الخطر السلجوقي بقوله :
« ولبس الناس السلاح * » وفرق الخليفة عليهم
الاسلحة (١٢٢) * .

كما رتب الخليفة المدافعين عن اسوار بغداد
المحصنة تحصينا قويا ، وكان رجال الحرس يطوفون
في انحاء المدينة لحث الناس على المشاركة في الدفاع
عن مدينتهم ، ولم يصل الجيش السلجوقي الى بغداد
في سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م الا وكان الخليفة قد هيا
الرأي العام للمعركة ضد السلاجقة لدرجة ان العامة
كانوا ضمن جيش الخلافة في قتاله ضد
المعتدين (١٢٣) ، وكان السلاجقة في غاية الاستعداد
واتجهت قواتهم بقيادة محمد شاه وزين الدين علي

(١٢١) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ٢١٣/١١ .

(١٢٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٦٩/١٠ - ١٧٠ .

(١٢٣) البنداري ، ٢٢٦ ، ابن خلدون ، العبر ، ٥١٩/٣ .

كوجك وجاءوا في نحو من ثلاثين ألف معججف فوقفوا
عند الرقة ، واخذوا يهاجمون بالنشاب ناحية التاج ،
ورد عليهم سكان بغداد ، وكان صبيان بغداد يعبرون
اليهم بالمقاليع وزاقات القسار فيردون العسكر
السلجوقي ويصدون النشاب بميازير الصوف ، وكان
القتال تحت قمرية وقصر عيسى (١٢٤) *
ولعل من أبرز المؤرخين الذين وصفوا معركة
بغداد هو المؤرخ ابن الجوزي ونورد جانباً من تلك
التفاصيل التي اوردها وكمايلي (١٢٥) :

١ - توجه محمد شاه السلجوقي نحو بغداد
لمهاجمتها ، فوصل الى ناحية بعقوبة ، فانزعجت
بغداد .

٢ - بدأ الهجوم السلجوقي على بغداد ابتداءً من
١٦ محرم وحتى ٢٣ ربيع الآخر *

٣ - امر الخليفة بنقل اموال الناس الى دار الخلافة
وذلك لحمايتها من النهب السلجوقي ونودي ان
لا يقيم احد بالجانب الغربي ، فأجفل الناس
واهل السواد *

٤ - قام محمد شاه السلجوقي بمهاجمة ونهب منطقة
اوانا *

(١٢٤) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ١٠/١٦٩-١٧٠ .

(١٢٥) انظر ، المنتظم ، ١٠/١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٢-١٧٥ .

٥ - لبس الناس السلاح فاخرج الخليفة سبعة الاف
جوشن ففرقها ونصب المجانيق والعرادات ،
واقام اربعين شقاقا يعماون بالخشب لعميل
التراسي والمجانيق والعرادات فكانت مائتين
وسبعين عرادة ومنجنيقا في كل عرادة اربعون
رجلا .

٦ - اذن للوعاظ في الجلوس للوعظ وللحث على
الجهاد .

٧ - جاء محمد شاه السلجوقي وحلفاؤه في نحو ثلاثين
الف مقاتل سلجوقي .

٨ - كان صبيان بغداد يعبرون اليهم بالمقاليع
وزاقات النار فيردون العسكر الكثير ، ويتلقون
النشاب بميازير صوف .

٩ - ضرب الصبيان اميرا سلجوقيا بقارورة نبط
فرمت به الفرس فقتلوه وقعد القوم له في
العزاء ونهب عسكر القوم .

١٠ - ركب عسكر الخليفة يقاتلون والنشاب يقع
عليهم مثل المطر .

١١ - انقطعت صلاة الجمعة من الجانب الغربي .

١٢ - وصلت الانباء بمجيء سفن اليهم من الحلة ،
وجاءتهم سفن من واسط فاقامت في المدائن ،

ووصل لهم من الموصل كلك عليه دقيق وسكر
وعسل وسمن ونعل للخيول وغير ذلك فاخذته
اصحاب الخليفة *

١٣- كانت الريح شديدة فرمى صبيان بغداد انفسهم
في الماء سبحوا فصعد منهم نحو خمسين بأيديهم
السيوف والمقاليع والنشاب وكان يوما
مشهودا *

١٤- وفي يوم الجمعة ١٦ صفر جرى قتال عظيم
ووقع النفير في بغداد *

١٥- نودي من الديوان بحمل السلاح فحمله العوام
والتجار والرؤساء ولبسوا ثياب الحرب *

١٦- في يوم الاثنين ١٦ صفر ، اتصل القتال
واستمر *

١٧- نصب الاعداء عرادة فرماها المنجنيق فكسرها *

١٨- تعذر على اهل بغداد الشوك والتبن والعلف ،
فبيع الشوك كل باقة بحبة (١٢٦) ، ورأس الغنم
بسبعة دناتير *

(١٢٦) الحبة : تساوي الحبة الواحدة ١/١٠٠ من المئقال اي =
٤٤٦ ر . د . غم ، وتعتبر الحبة وزن عملة لا وزن بضاعة ،
ويمكن تحديد الحبة مقربا قدره (٠.٠٥٠) ما لم يكن الامر
يتعلق باوزان عملية مغايرة (هنتس ، الاوزان والمكاييل)
٢٥-٢٦) *

١٩- سد الخليفة الجسر .

٢٠- في يوم الخميس ٢٠ ربيع الاول جاءوا بالسلالم التي عملوها وكانت اربعمائة سلم طوال ليضعوها على السور فلم يقدرُوا .

٢١- في يوم الجمعة ٢١ ربيع الاول لم يجر الا قتال يسير ، ولم يصل الناس الجمعة لثلاث جمع متواليات .

٢٢- في يوم الثلاثاء ٢٥ ربيع الاول نادى الحراس في الدروب والاسواق من اراد الجهاد فليلبس السلاح ويقصد السور فخرج الخلق وجاء العدو معه بالسلالم والمعاول والزبل لسد الخندق وخرج الناس واقتتلوا .

٢٣- في يوم الخميس ٢٧/ ربيع الاول : نادوا في معسكرهم لا يتأخرن احد عن الحرب وعبر المعسكر الذين جاءوا بالجانب الغربي ، وجاءوا باجمعهم وافترقوا ، وفتحت الابواب ووقع القتال الى المغرب .

٢٤- في يوم السبت ٢٩ ربيع الاول : نادوا اليوم الحرب العظيم فلا يتأخرن احد فخرج الناس فلم يجر قتال .

٢٥- وكان الضعفاء يعبرون فيجلبون علفا وحطباً فيبيعونه ويعيشون بثمنه وربما حشوا فيه اللحم والتفاح والخضرة ففطنوا بهم فمنعواهم *

٢٦- فلما كان يوم السبت ٧ ربيع الآخر عبر الضعفاء الذين كانوا يجلبون الحطب والعلف على عادتهم فحسروهم كوجك السلجوقي وجمع منهم جماعة وتقدم بقطع اذانهم وخرم آنافهم ففعل بهم ذلك فعادوا ودمأؤهم تسيل فجاءوا يستغيثون تحت التاج فتقدم الخليفة بمداراتهم وقسم فيهم اموالا *

٢٧- بعث محمد شاه الى كوجك السلجوقي يقول له : «انت وعدتني بأخذ بغداد فبغداد ما حصلت .. وأخذ مالي بها وخربت بيوت أصحابي وانا معول على الماضي ، فقال له متى رحلت بغير بلوغ غرض كنت سبب قلع بيت السلجوقية الى يوم القيامة ، ثم لا يقصدونك بل يقصدونا ايضا ، ولكن اصبر حتى نجد الجسر ونعبر .. ونحمل حملة واحدة فناخذ البلد » *

٢٨- في يوم الجمعة ٢٠ ربيع الآخر جرى قتال على قمريه وهي سابع جمعة تعطلت فيها الصلاة *

٢٩- وفي ليلة السبت ٢١ ربيع الآخر هاجم العيارون طوالع العسكر السلجوقي وقتلوا منهم وانتهبواهم *

ونهب عسكر السلاجقة بالجانب الغربي ، وكان الخليفة يقود الجيش العباسي ومعهم العرادات واقوات الجرح يقاتلون والنشاب يقع عليهم مثل المطر ، واستحوذ السلاجقة على جانب دجلة وخرج اليهم عسكر الخليفة في السفن ، ومنعهم السلاجقة وجرى قتال عظيم ووقع النقيير ببغداد (١٢٧) ، ونودي في منتصف محرم سنة ٥٢٢ هـ ان لا يقيم احد بالجانب الغربي فأجفل الناس واهل السواد ، ثم نقلت الاموال الى حريم دار الخلافة (١٢٨) ، الامر الذي يكشف مدى صعوبة الموقف الذي كانت تواجهه الخلافة العباسية حينئذ ونودي من الديوان بحمل السلاح فحمله العوام والتجار والرؤساء ، وتذكر الاخبار ان الرياح كانت شديدة وتمنع السفن من الصعود « فرمى صبيان بغداد نفوسهم في الماء وسبحوا فصعد منهم نحو خمسين بايديهم السيوف والمقاليع والنشاب » (١٢٩) . وكان يوما مشهودا ، واستعملت قارورات النفط بالالات وتعسرت الاوضاع الاقتصادية في بغداد وارتفعت الاسعار فيها بسبب الحصار المفروض من قبل السلاجقة ، يقول ابن الجوزي

(١٢٧) نفسه ، ١٦٩/١١ ، ١٧٠ .

(١٢٨) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ٢١٣/١١ .

(١٢٩) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ١٧٠/١٠ - ١٧١ .

« وتعذر على اهل بغداد الشوك والتبن والعلف فبيع الشوك كل باقة بحبة ، ورأس الغنم بسبعة دنانير » ، وكان اهالي بغداد يدافعون ببسالة وبطولة متناهية ، حيث أنهم كانوا مستميتين في جهادهم للسلاجقة (١٣٠) ، وبسبب شدة القتال فأن صلاة الجمعة كانت لا تقام على حد قول ابن كثير (١٣١) . ويقول ابن الجوزي « ان هذه الجمعة الثالثة من الجمع التم لم يصل فيها الجمعة ببغداد وغير جامع القصر وعطل باقي الجوامع » (١٣٢) ، ذلك ان رجال الطرفين كانوا يتبارزون كل يوم ويتقاذفون بالاحجار ويطارد بعضهم سفن بعض ، وكان الرجالة يخرجون من المدينة ويقاتلون مشاة الجيشين ولم يخرج الجيشان باجمعهما في اي يوم من الايام للاقيام بالحرب (١٣٣) ، وتتحدث المصادر عن شجاعة اهالي بغداد وبطولاتهم ، يقول ابن الاثير « . . . ولم تزل الحرب في اكثر الايام ، وعمل السلطان محمد اربعمائة سلم ليصعد الرجال فيها الى السور ، وزحفوا وقاتلوا ففتح اهل بغداد ابواب البلد وقالوا

(١٣٠) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ١٠-١٧١ ، ابن الاثير ، المصدر السابق ، ٢١٤/١١ .

(١٣١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٣٦/١١ .

(١٣٢) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ١٠-١٧١ .

(١٣٣) الراوندي ، راحة الصدور وآية السرور ، ٣٨٣-٣٨٤ .

أي حاجة بكم الى السلالم ؟ هذه الابواب مفتحة فادخلوا منها فلم يقدرُوا على ان يقربوها ٠٠» (١٣٤) ، واتخذ الخليفة اجراءات لمعالجة الوضع الاقتصادي من جراء الحرب والحصار الشديد وقلت في عساكر الجند بعض الاقوات ، وكانت الغلات توزع على الجند عوض الدنانير فيبيعونها فلم تزل الاسعار عندهم رخيصة ، الا ان اللحم والفاكهة والخضر قليلة عندهم» (١٣٦) ٠ غير انه لما اشتد الحصار على بغداد، لانقاع المواد عنهم وعدم المعيشة لاهلها الا ان المقتضي فرق الاموال والغلة الكثيرة ونهض أتم نهوض حتى ان بعض الزجاجين عمل ثمانية عشر ألف قارورة للنفط لاستخدامها في مهاجمة السلاجقة (١٣٧) ، وذلك من اجل الحد من ازمة اقتصادية بسبب الحصار المفروض على بغداد ، كما أن الخليفة المقتضي كان كما ذكر البنداري « يخاف الفلاء ٠٠ واقتصر للاجناد في الاعطيات ، على تفريق التمور فيهم والغلات ٠٠ واخذوها واحتاجوا الى اثمانها في النفقات فرموها في الاسواق وباعوها بالدنانير فحمد بذلك نار الاسعار ، وما زاد سعر في

(١٣٤) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ١٢٤/١١ ٠

(١٣٥) نفسه ، ٢١٤/١١ ٠

(١٣٦) نفسه ، ٢١٤/١١ ٠

(١٣٧) الذهبي ، العبر ، ١٤٥/٤ ٠

الأقوات ولا غلا مطعوم في وقت من الاوقات » (١٣٨)،
وذكر ابن الجوزي ان الخليفة المقتفي كان يخرج كل
يوم من الخزانة اكثر من مائة كر (١٣٩) .

وكانت هذه الاجراءات الاقتصادية تتخذ في
الوقت الذي كانت فيه الحرب مشتعلة بين الجانبين
وقد كان الخليفة ووزيره يشجعان المدافعين على
الصمود والقتال بزيادة مكافأة الذين يعملون
ويجرحون في الحرب ، فكان لذلك العمل اثره
الايجابي في تقوية وتشجيع عزائم اهالي بغداد
وزيادة بطولاتهم (١٤٠) .

واستغل الخليفة المقتفي مسألة الخلاف بين
السلاجقة وحلفائهم لكي ينهك قواهم ويضعفهم ،
ولذا فان كتبه ورسله كانت ذاهبة الى جميع اصحاب

(١٣٨) البنداري ، المصدر السابق ، ٢٢٩ - ٢٣٠ .

(١٣٩) المنتظم ، ١٠ / ١٦٩ .

(١٤٠) فعلى سبيل المثال يذكر ابن الاثير ان الخليفة امر
مناديه ، فنودي كل من جرح فله خمسة دنانير فكان كلما
جرح انسان يحضر عند الوزير فيعطيه خمسة دنانير ،
فاتفق ان بعض العامة جرح جرحا ليس بكبير فحضر يطلب
الدنانير فقال له الوزير ، ليس هذا الجرح بشيء ،
فعادوا للقتال فضرب فانشق جوفه وخرج شيء من
شحمه ، فحمل الى الوزير فقال : يا مولانا الوزير أيرضيك
هذا ؟ فضحك منه واطع له وزتب له من يعالج جراحته
الى ان برىء (الكامل في التاريخ ، ١١ / ٢١٤) .

الاطراف المجاورين للسلطان السلجوقي محمد ،
ويحثهم على مهاجمة بلاد محمد السلجوقي « واقطع
كل صاحب طرف ما يليه منها فتحرك اصحاب
الاطراف » (١٤١) ، وان وزير الخلافة منذ دخول محمد
السلجوقي ومحاصرته لبغداد كان يرسل اتابك
شمس الدين ، ويحثه على الاتحاد مع ملكشاه
وارسلان شاه لمهاجمة املاك السلطان محمد
السلجوقي وبالاخص مدينة همدان (١٤٢) ، كما انه
راسل الامراء السلاجقة سرا وبعث اليهم التحف
والمنح والدنانير من أجل اغرائهم للدخول في طاعة
الخليفة ومحاربة محمد السلجوقي (١٤٣) *

(١٤١) ابن الاثير ، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ، ١١٤ .

(١٤٢) البنداري ، المصدر السابق ، ٢٣١ .

(١٤٣) يقول الحسيني : « ان الوزير ابن هبيرة كان يرسل

الامراء السلطانية في السر وينفذ لهم التحف والمنح
والدنانير ويظهر لهم ان هذه عن العلوقة التي يجب انفاذها
اليهم ومع تعذر انفاذ ذلك يكون هذا القدر عوضا عنه
ويشير عليهم ان النصيح لاميير المؤمنين هو على كل مسلم
من الامور الواجبة في دين الاسلام والانتهاى الى طاعته لازم
له في نص القرآن والمعاندة والمعاندة له تفضي الى سخط
الله تعالى وعقوبته والحق ظاهر مشهور واتباعه واجب
والباطل زاهق مدحور ، واجتنابه لازم وانتم اعوان
السلطان وامراؤه واحق من محضه النصيحة ، وقد تردت



وقرر محمد شاه السلجوقي وكوجك ان يقاتلا
حتى الموت ، وقالوا : « وأي شيء وبغداد عندنا
ونصبوا الجسر (١٤٤) * واشتد القتال وعمل
السلاجقة جسرا على دجلة للعبور على جيش الخلافة
وبدأوا بالعبور فصادف هبوب رياح عاصفة
فازدحموا على الجسر فسقط بهم ، ولم رأى اهل بغداد
هذا الوضع المزري للسلاجقة فتحوا ابواب البلد

ما قد اقدم عليه من المجاهرة لامير المؤمنين من العصيان
واصر عليه من المناينة والطغيان والمشاحنة في بغداد وهي
دار الخلافة ومقر الائمة الاطهار من اهل بيت رسول الله
(ص) مع كون البلاد عليه متسعة والماليك بيده كثيرة
الاموال له وافرة واذا خاطب نحوه بخطاب يفضي الى
الى رحيله عن بغداد في هذه المرة الى ان يتيقن امير
المؤمنين حسن ادبه في الخدمة وحينئذ يبلغ مراده ويسعفه
بمطلوبه حل ذلك عند امير المؤمنين تلکم احسن محل وعند
الله سبحانه وتعالى رقي منزلته ، وبعد فان امير المؤمنين
لا يزال يواصلکم باحسنه ويمدکم ببره وامتنانه على
القرب والبعد ، واذا أتم لهذا ما يريد من الاستيلاء على
بغداد والعراق لا تبقى له حاجة الى مساعدتكم ولا مؤازر
يكون آخر استغنائه عنکم فتبقون عنده بعين الاستغناء عنکم
ملحوظين في ثياب الندم سادرين وتفوتکم صلات امير
المؤمنين ومباركه في كل آوان ويعمکم من الله البلاء والخذلان»
(الحسنی ، اخبار الدولة السلجوقية ، ١٣٥-١٣٦) *
(١٤٤) ابن الجوزي ، المنتظم ١٧٤ / ١٠

« ونادوا بشعار امير المؤمنين ونصره . . . وهجم الحق على الباطل بالابطال ومن حصل منهم قبي الجانب الشرقي لا طريق له الى الجانب الغربي ، فتقحم البغداديون على الدار السلطانية واجلوهم عنها وأبعدوهم منها ودخلوها ونهبوا ما فيها من الاموال المودعة والاثقال المجمعة » .

وروي عن بعضهم قوله : « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي وكان المقتفي يشكو اليه ، وقد وعد بالنصر ، فما مضى بعد المنام غير ايام حتى هزم الله جمع محمد شاه » (١٤٥) . ولذا فحينما وقعت الهزيمة بهم ، اختلف السلاجقة مع بعضهم ووقعوا في ضائقة اقتصادية ذلك لان الميرة التي كانت تأتيهم بالسفن من حليفهم حاكم الموصل قد قطعت عنهم لان اهل الموصل بعد ذلك امتنعوا عن ارسال الميرة الى المعتدين السلاجقة ، كما ان امدادات المؤونة التي كانت تصلهم من الفرات وواسط والبطائح منعتهما سفن الخليفة من الوصول الى بغداد ، ولذلك اضطرت الى ان تتجه الى نهر عيسى والى الفرات وتؤخذ فوق بغداد في الصراة ، الامر الذي ادى الى احراج الوضع الاقتصادي للسلاجقة .

(١٤٥) ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ، ٢٢٩ .

اضطر السلطان محمد السلجوقي الى الاسلوب
الدبلوماسي للتخفيف من وقع الهزيمة المنكرة
فاستغل وجود بعض العلماء في جيشه امثال صدر
الدين محمد بن عبداللطيف الخجندي وشمس الدين
احمد شاه القزويني الا انهما لم يتمكنوا من الوصول
الى الخليفة (١٤٦) ، وكان زين الدين صاحب الموصل
يقيم في الجانب الغربي من بغداد (١٤٧) ، وفي الوقت
نفسه بدأ الخليفة يرسل زين الدين صاحب الموصل
ويستميله الى ان تغيرت نيته في القتال (١٤٨) ، ويرى
ابن الاثير ان زين الدين وعسكر الموصل كانوا غير
مجددين في القتال « لاجل الخليفة والمسلمين » وفي
رواية ان نورالدين محمود بن زنكي ، وهو اخو
قطب الدين صاحب الموصل ، ارسل الى زين الدين
يلومه على قتال الخليفة « ففتر وأقصر » (١٤٩) ، وفي
رواية أن نورالدين بن زنكي بعث الى علي كوجك
وقال له « تمضي وترمي نفسك بين يدي امير
المؤمنين حتى يرضى » (١٥٠) * ولذا فان الوقت كان
يجري في صالح الخلافة حيث كانت الفرص مهيأة

(١٤٦) البنداري ، المصدر السابق ، ٢٣٠ .

(١٤٧) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ٢١٣/١١ .

(١٤٨) ابن الاثير ، التاريخ الباهر (القاهرة ، ١٩٦٣) ، ١١٤ .

(١٤٩) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٢١٤/١١ .

(١٥٠) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٧١/١٠ .

الخدمة الخليفة المقتضي في نضاله مع السلاجقة ،
أضف الى ذلك انه كان هناك خلاف بين كردبازو
وابناء قايماز ، وكان الشجار قائما بينهما ، فكان
هذا سبباً في التهاون في الحرب ، وساءت الاحوال في
المدينة وامتنع الناس عن دفع الاموال السلطانية « ولم
يعد من المتيسر حمل واحد من المتاع في
المدينة » (١٥١) ، ولقد أثرت سياسة الخليفة في اثارة
الامراء السلاجقة ضد السلطان محمد السلجوقي
من جانب ، وفي استمالة صاحب الموصل الى جانبه من
جانب آخر ، حيث امتنع سكان الموصل من ارسال
سفن الامدادات في نهر دجلة الى عسكر السلطان
محمد ، لذلك عاد زين الدين الى الموصل وسحب
قواته (١٥٢) ، ومنع الخليفة عسكره من أن
يلحقوه (١٥٣) ، كما ان الاخبار من المشرق افترعت
محمد السلجوقي ، حيث افادت تلك الاخبار بان
اخاه ملكشاه وايلدكز صاحب بلاد آران ومعه الملك
ارسلان بن الملك طغرل بن محمد ، وهو ابن امرأة
ايلدكز قد دخلوا همدان واستولوا عليها ، واخذوا
أهل الامراء الذين مع محمد شاه واموالهم ، فلما سمع

-
- (١٥١) الراوندي ، راحة الصدور ، ٣٨٣-٣٨٤ .
 - (١٥٢) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ٢١٥/١١ .
 - (١٥٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٧٥/١٠ .

محمد شاه بذلك جد في القتال لعله يبلغ غرضاً» (١٥٤) ،
ثم وصل خبر من همدان يفيد ان ملكشاه اخذ اربعة
الاف بختية نفذ بها محمد شاه الى همدان ، واخبروه
بهزيمة ايتاغ وباموال كثيرة اخذت من همدان، ووصل
كتاب الى الامراء الذين مع محمد شاه يقول لهم «متى
تأخرتم عن الحضور الى عشرين يوماً خربنا
بيوتكم واخذنا اموالكم واولادكم ونساءكم» (١٥٥) ،
فشاور الامراء بما انتهى اليه من ذلك ، فكلهم
اشاروا بالرحيل عن بغداد الى همدان ثم يماودون
الرجوع اليها فيما بعد (١٥٦) ، ثم جاء الخبر لمحمد
شاه بان همدان اخذها بعض بني عمه ونهبت داره
فرحل في حال يرثى لها سنة ٥٥٢ هـ ، ولذلك انتهى
حصار السلاجقة لبغداد بالفشل الذريع ، وانسحبت
قواتهم في الرابع والعشرين من ربيع الاول سنة
٥٥٢ هـ بعد ان حاصروها في ذي الحجة سنة
٥٥١ هـ (١٥٧) .

وحينما انسحب السلاجقة ، نهبوا مدينة بعقوبة
وغيرها من طريق خراسان ، وعلى اثر ذلك هجمت

-
- (١٥٤) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ١١/ ٢١٤-٢١٥ .
(١٥٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠/ ١٧٣-١٧٤ .
(١٥٦) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ، ١٤٠ .
(١٥٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠/ ١٧٥ .

قوات الخلافة على دار السلطان السلجوقي واخذوا ما كان فيها من اموال وابواب واخشاب كما ان السلاجقة عجزوا عن حمل اثقالهم التي ادخلوها الى بغداد وغنمها سكان بغداد .

ثم جمع الخليفة الامراء والقادة فخلع عليهم الاموال وقال « تمضون الى همدان لتكونوا مع ملك شاه ضد محمد شاه وكوجك » (١٥٨) ، وذلك من اجل ان يقضي على محمد السلجوقي ، وعلى نفوذ السلاجقة في المشرق ، وكان محمد شاه في طريق رجوعه قد بعث الى كوجك يقول له : « أنت وعدتني باخذ بغداد ، فبغداد ما حصلت وخرجت من يدي همدان واخذوا مالي بها ، وخربت بيوت اصحابي وانا معول على المضي فقال له : « متى رحلت بغير بلوغ غرض كنت سبب قلع بيت السلجوقية الى يوم القيامة ، ثم لا يقصدونك بل يقصدونا ايضا » ، وكان السلاجقة حينما قرروا مهاجمة بغداد ، على ثقة كبيرة بانفسهم من اجل تحقيق انتصارهم على جيش الخلافة ، وحينما انتهت الاوضاع الى الهزيمة اندهلوا ولم يعرفوا كيف يتصرفون فقد تهيأت لهم ظروف قوية ، الا ان صمود جيش الخلافة وسكان بغداد حطم معنوياتهم وبدد آمالهم وسأل بعض امراء

(١٥٨) نفسه ، ١٧٥/١٠ ، الحسيني ، المصدر السابق ، ١٤٠ .

محمد شاه عن سبب الهزيمة فقال : « والله ما كان الا امرا ربانيا احاط بنا الخذلان » (١٥٩) . ويعلق الحسيني على انتصار المقتفي واندحار السلاجقة بقوله : « وانقطعت بعد ذلك أطماع السلاطين السلجوقية عن بغداد . . . » (١٦٠) . ويعلق الراوندي على الانتصار العباسي بقوله : « واصبحت بغداد وقد اتاها الله بالفرح . . . ونصر الحق وحق النصر ، وكف المقتفي عن انتقاء المنكفين . . . وانتشرت عساكر امير المؤمنين في البلاد . . . وعرفت الاعاجم أنه لا مطمع بعدها في بغداد . . . » (١٦١) ، واقامت احتفالات النصر في بغداد والتي شارك فيها مختلف سكانها ، ويصف الراوندي الحالة وكان شاهدا لها يقول : « وكنت حينئذ ببغداد ، وجرت قصائد في هناء الامام واستخدمني الوزير عون الدين تلك السنة في النيابة عنه بواسطة فنقلني من المدرسة الى العمل . . . » (١٦٢) قال ابن الجوزي : « وخرج الناس يلعبون في نهر عيسى وغيره بانواع اللعب والمضحكات فرحا بالسلامة واحتفل الصبيان الذين كانوا يقاتلون وخرج الناس يتفرجون ويضحكون

-
- (١٥٩) ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ، ٢٢٩-٢٣٠ .
 - (١٦٠) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ، ١٤٠ .
 - (١٦١) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ٢٣٣ .
 - (١٦٢) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ٢٣٣ .

عليها» (١٦٣) . وفي يوم الخميس ١٤ / جمادى الاول ،
ركب الخليفة في الماء وسار يتفقد السور من اوله
الى آخره ، وعاد من دجلة يتفقد ثم عبر الى الجانب الغربي
فنظر آثار الخراب وما احرق من الدور ثم عاد الى
منزله مسرورا واطلق للفقراء مالا كثيرا « (١٦٤) ،
وكان للحصار اثره الشديد على سكان بغداد من
جوانب كثيرة ، ففي اعقاب انسحاب السلاجقة من
بغداد اصاب اهلها امراض شديدة وحادة « وموت
كثير للشدة التي مرت بهم » . ولذا يعد انسحاب
السلاجقة من بغداد أفضع هزيمة الحقت بهم على
أيدي العباسيين طوال التاريخ العباسي ، وتخلصت
بغداد من جورهم ومن تسلطهم ، وصفت الامور
للخليفة المقتفي الذي توج نضاله للسلاجقة بالنصر
المؤزر ، وتم تحرير بغداد من بقايا السلاجقة الذين
كانوا فيها ، كما ان الاحداث كشفت عن مدى النجاح
الباهر لسياسة الخليفة المقتفي ، في جمع شمل
وتوحيد العراقيين عامة واهل بغداد بخاصة والذين
اظهروا براعة وشجاعة نادرة ، ونجاح سياسته في
تشيت شمل السلاجقة ، وزرع بذور الخلاف

(١٦٣) المنتظم ، ١٠ / ١٧٥ .

(١٦٤) نفسه ، ١٧٥ - ١٧٦ .

(١٦٥) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ١١ / ٢١٥ .

والشقاق بينهم وهذا النجاح شجع الخليفة على مواصلة نضاله ضد السلاجقة حتى خارج العراق بل وفي عقر دارهم في المشرق ، وبعد فشل السلاجقة حاولوا التشبث بأية وسيلة الى ارهاق واضعاف حكم المقتفي ، ولذلك فانهم لجأوا في سنة ٥٣٣ هـ الى كثرة الافساد في منطقة الجبل بقيادة برجم الايوائي ، فجهز الخليفة المقتفي جيشا كبيرا بقيادة منكبرس المسترشدي، فلما قاربهم اقتتلوا قتالا شديدا ، فانهمز السلاجقة « اقبح هزيمة وقتل بعضهم واسر بعض وحملت الرؤوس والاسرى الى بغداد » (١٦٦) ، وبهذه الانتصارات المتلاحقة اصبحت قوة الخلافة رهيبة بحيث ليس في مقدور السلاجقة الوقوف بوجهها .

وكان الخليفة المقتفي قد اقطع قلعة الماهكي ، وبلد اللحف الى الامير قايماز العميدي ، وكانت هذه سابقا الى سنقر الهمداني ، الا ان موقف سنقر السلبي من الخلافة ادى الى ان يمنح الخليفة الاقطاع الى الامير قايماز ، فعاد سنقر ومعه قوة من الفرسان فراسل قايماز العميدي قائلا له : « ارحل عن بلدي . . . » فامتنع قايماز وجرى بينهم قتال شديد انتهى فيه العميدي الى بغداد (١٦٧) ، ويعد هذا

(١٦٦) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ٢٣٩/١١ .

(١٦٧) نفسه ، ٢٤٩/١١ .

العمل ضد الخليفة المقتفي الذي نظر الى الموضوع بأهمية بالغة لانه خشي ان يتشجع السلاجقة على مهاجمة الخلافة مستقبلا ، فجهز جيشا كبيرا في عام ٥٥٤ هـ لتأديب سنقر الهمداني ومن معه فوصل الى النعمانية مودعا الجيش الذي اسند قيادته الى شرشك ثم عاد الى بغداد ، فلاذ سنقر الهمداني بالجبال هاربا ، ونهب شرشك ما وجد له ولعسكره من اسلحة ومال السلاجقة وغير ذلك ، وأسر وزير سنقر الهمداني وقتل عدد كبير من اصحابه ، ثم ضرب الحصار حول قلعة الماهكي عدة أيام ثم عاد الى البندنجين وارسل الى الخليفة بالبشارة والنصر (١٦٨) *

واستنجد سنقر بملكشاه ، فأجده بنخمسمائة فارس وعاد الى القلعة فافسد فيها وارسل شرشك الى بغداد يطلب النجدة فبعث اليه الخليفة نجدة عسكرية وكان شرشك حذرا جدا من خصمه سنقر الذي لجأ الى الخداع والحيلة ، حينما ارسل الى شرشك رسولا طالبا اليه ان يتوسط في اصلاح حاله مع الخليفة ، غير ان شرشك سجن الرسول ، ثم هاجم القلعة ليلا وقتل عددا كبيرا من اتباع سنقر وحصل على غنائم

(١٦٨) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ٢٤٩/١١ . *

كثيرة جدا من الاموال والدواب وكل ما لهم وهرب
سنقر جريحا من مطاردة القوات العباسية له .
ومن جراء فشل السلاجقة في التأثير على
سياسة المقتفي لامر الله فانهم ارادوا ان يستخدموا
الحيلة والخداع معه ، فاطلقوا سراح سليمان شاه
الذي كان مسجوناً بالموصل ، ذلك لوفاة السلطان
محمد بن محمود بهمدان في سنة ٥٤٤ هـ ، وقرر
السلاجقة تولية سليمان شاه بن محمد محله ، على
اعتبار انه كان له علاقة طيبة بالخلافة ، وانهم ارادوا
ان يعودوا من خلاله الى بغداد ، ولذلك اطلق سراحه
وعين سلطانا على السلاجقة ، ويقول القلقشندي
« انه كان فيه خرق وتهور وضعف في الدين حتى
يقال انه شرب الخمر في رمضان نهارا ، فتسلط
عليه الجند حتى لم يبق له معهم امر ، ثم قبض عليه
وحبس ، واقيم ارسالان شاه بن طغل بن محمد بن
ملكشاه في السلطنة » (١٦٩) ، وبعد ان حقق
السلاجقة هذا الاسلوب على اساس انهم رضوا
مسبقا بسليمان الذي رضي به الخليفة المقتفي في
محاولة لاسترضائه ، عزلوه ، وارادوا من الخليفة
ان يعترف بسلطنة ارسالان شاه ويعثوا الى بغداد

(١٦٩) القلقشندي ، مآثر الانافة في معالم الخلافة ، ج ٢/ ٣٨ .

(١٧٠) نفسه ، ج ٢/ ٣٨ .

طالبين الخطبة فيها بالسلطنة على عادة الملوك
السلجوقية فلم يجبههم الى ذلك ، وبقيت الخطبة في
بغداد للخليفة وحده ، وبقي الامر على ذلك الى وفاة
المقتفي (١٧٠) ، وبهذا الحادث يكون المقتفي قد ازاح
عن العراق ستار الظلم الذي ظل يرزح تحت وطأته
ردحاً من الزمن .

جريدة المصادر والمراجع

اولا : المصادر المطبوعة :

ابن الاثير :

عزالدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري
(ت ، ٦٣٠) : الكامل في التاريخ (بيروت ،
١٩٦٥) .

الاربلي :

سنبط قنديتو عبدالرحمن (ت ، ٧١٧هـ :
خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك
(بيروت ، ١٨٨٥) .

البنداري :

الفتح بن علي بن محمد (ت ، ٦٤٣هـ) :
تاريخ دول ال سلجوق (بيروت ، ١٩٧٨) .

ابن الجوزي :

ابو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت ، ٥٩٧هـ) :
المنتظم في تاريخ الملوك والامم (حيدرآباد ،

١٣٥٧ - ١٣٥٩ هـ) . أهل الاثر في عيون
التواريخ والسير (القاهرة ، ١٩٧٥) .

ابن الجزري :

شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد (ت ،
٨٣٣ هـ) : غاية النهاية في طبقات القراء ،
تحقيق براجستراسر القاهرة ، ١٩٣٢) .

الحموي :

أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي (ت ،
٦٢٦ هـ) : معجم البلدان (بيروت ، ١٩٦٥) .

ابن خلدون :

عبدالرحمن بن محمد (ت ، ٨٠٨ هـ) : العبر في
ديوان المبتدأ والخبر (بيروت ، ١٩٥٧) .

ابن خلكان :

أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد
(ت ، ٦٨١ هـ) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء
الزمان (القاهرة ، ١٩٤٨ ، ١٩٤٩) .

ابن دحية الكلبي :

أبو الخطاب عمر (ت ، ٦٣٣ هـ) : التبراس في
تاريخ خلفاء بني العباس ، تحقيق المرحوم
الاستاذ عباس العزاوي المحامي (بغداد ،
١٩٤٦) .

ابن دقماق :

ابراهيم بن محمد بن أيذر العسلائي (ت ،
٨٠٩هـ) : الجواهر الثمين في سير الخلفاء
والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عبدالفتاح
(القاهرة ، ١٩٨٢) .

الديار بكري :

حسين بن محمد بن الحسن (ت ، ٩٦٦هـ) :
تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس
(القاهرة ، ١٢٨٣هـ) .

الذهبي :

شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد
عثمان (ت ، ٧٤٨هـ) : دول الاسلام
(القاهرة ، ١٩٧٤) .

العبر في خبر من غير (الكويت ، ١٩٦٣) سير
اعلام النبلاء ، تحقيق شبيب الارنورط ومحمد
نعيم (بيروت ، ١٩٨٥) .

الراوندي :

محمد بن علي بن سليمان (ت ، ٦٠٣هـ /
١٢٠٦م) : راحة الصدور وآية السرور في
تاريخ الدولة السلجوقية ، ترجمة د . فؤاد
الصياد وآخرين (القاهرة ، ١٣٧٩هـ /
١٩٦٠م) .

السيوطي :

جلال الدين عبدالرحمن ابي بكر (ت ، ٩١١ هـ) :
تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيي الدين
عبد الحميد (القاهرة ، ١٩٥٩) .

ابن الطقطقي :

محمد بن علي بن طباطبا (ت ، ٧٠٩ هـ) :
الفخري في الاداب السلطانية (بيروت ،
١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م) .

ابن عبدالحق البغدادي :

عبد المؤمن البغدادي الحنبلي (ت ، ٧٣٩ هـ) :
مراسد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ،
تحقيق علي محمد الحاوي (بيروت ، ١٩٥٤) .

ابن العماد الحنبلي :

ابو الفلاح عبدالحق (ت ، ١٠٨٩ هـ) : شذرات
الذهب في اخبار من ذهب (القاهرة ١٣٥٠ هـ) .

ابن العمراني :

محمد بن علي بن محمد (ت ، ٥٨٠ هـ) : الاثباء
في تاريخ الخلفاء ، تحقيق د . قاسم
السامرائي (دار العلوم للطباعة والنشر ،
١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م) .

الغلقشندي :

ابو العباس أحمد (ت ، ٨٢١هـ) : مؤثر
الانافة في معالم الخلافة (الكويت ، ١٩٦٤) .

القزويني :

زكريا بن محمد بن محمد (ت ، ٦٨٢هـ) :
آثار البلاد وأخبار العباد (بيروت ، ١٩٦٠) .

الفارقي :

أحمد بن يوسف بن علي الأزرق (ت ،
٥٧٧هـ / ١١٨١م) : نبذة من تاريخه من كتاب
ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي .

ابو الفداء :

الملك المؤيد اسماعيل بن علي (ت ، ٧٣٢هـ) :
المختصر في أخبار البشر (القاهرة ، ١٣٢٥هـ)

ابن الكازروني :

علي بن محمد البغداددي (ت ، ٦٩٧هـ) :
مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة
بني العباس ، تحقيق د . مصطفى جواد
(بغداد ، ١٩٧٠) .

ابن كثير :

عماد الدين اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي
(ت ، ٧٧٤هـ) : البداية والنهاية في التاريخ
(بيروت ، ١٩٦٦) .

المقريزي :

تقي الدين احمد بن علي (ت ، ٨٤٥هـ) : السلوك
في معرفة دول الملوك ، تحقيق د . محمد
مصطفى زيادة (القاهرة ، ١٩٣٤) .

المكي :

عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي
(ت ، ١١١١هـ) سمط النجوم العوالي في
انباء الاوائل والتوالي (المطبعة السلفية) .

ابن منظور :

محمد بن مكرم (ت ، ٧١١هـ) : لسان العرب
(بولاق ، ١٣٠٠ - ٣٠٨هـ) .

اليافعي :

ابو محمد عبدالله بن اسعد (ت ، ٧٦٨هـ) :
مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما
يعبر من حوادث الزمان (حيدر آباد ،
١٣٣٧ - ١٣٣٩هـ) .

ابن الوردي :

عمر بن اظفر (ت ، ٧٤٩هـ) : قتمة المختصر
في أخبار البشر (النجف ، ١٩٦٩) .

ثانيا - المراجع العربية الحديثة :

أمين ، حسين :

تاريخ العراق في العهد السلجوقي (بغداد ،
١٩٦٥) .

مقالة في مجلة سومر - بغداد ، ١٩٦٤ .

الجميل رشيد :

امارة الموصل في العصر السلجوقي (بغداد ،

١٩٨٠) .

حسن ، علي ابراهيم :

التاريخ الاسلامي العام (القاهرة ، ١٩٥٩) .

حسين ، عبد المنعم :

سلاجقة ايران والعراق (القاهرة ، ١٩٥٩) .

الخضري ، محمد :

محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية (القاهرة ،

١٣٨٢ هـ) .

الدويهي ، اسطفانيوس :

تاريخ الازمنة (بيروت ، ١٩٥١) .

زادة ، نظمي :

كلشن خلفا (النجف ، ١٩٧١) .

الزهراني ، محمد بن جعفر :

نفوذ السلاجقة السياسي في الدولة العباسية

(بيروت ، ١٩٨٢) .

علي ، امير :

مختصر تاريخ العرب (القاهرة ، ١٩٣٨) .

فوزي ، فاروق عمر :

الخلافة العباسية في فترة الفوضى العسكرية

(بغداد ، ١٩٨٦) .

فهرست الكتاب

- ١ - الاهداء
- ٢ - المقدمة
- ٣ - الفصل الاول : (الوضع العام للخلافة قبل عهد الخليفة المقتفي لامر الله)
 - المبحث الاول : الوضع الاجتماعي والاقتصادي
 - المبحث الثاني : بوادر الانتعاش السياسي
- ٤ - الفصل الثاني : خلافة المقتفي لامر الله
 - المبحث الاول : عزل الراشد بالله وخلافة المقتفي لامر الله
 - المبحث الثاني : السيرة الشخصية للخليفة المقتفي لامر الله
 - المبحث الثالث : موقف المؤرخين من الخليفة المقتفي لامر الله
- ٥ - الفصل الثالث : صعوبة موقف الخليفة المقتفي لامر الله في بداية تولية الخلافة
- ٦ - الفصل الرابع : وزراء الخليفة المقتفي لامر الله
- ٧ - الفصل الخامس : الازمات الداخلية ودور الخليفة في القضاء عليها
- ٨ - الفصل السادس : الزيارات التفقدية التي قام بها المقتفي لمن العراق ، وعنايته بالحركة الفكرية
- ٩ - الفصل السابع : تصدي الخليفة المقتفي لامر الله للسلاجقة



General Organization Of the Alexan-
dria Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina

طبع بمطابع دار الشؤون الثقافية - ٤

وزارة الثقافة والأعلام

دار الشؤون الثقافية العامة

السعر: دينار ونصف



الخلاص: رياض عبد الكريم

بغداد — ١٩٩٠

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

097
01

To: www.al-mostafa.com